إنجازات

المسيح الموعود عليه السلام

خطاب

ألقاه حضرة مرزا بشير الدين محمود أحمد رضي الله عنه

المصلح الموعود والخليفة الثاني للمسيح الموعود عليه السلام

في ٢٨ كانون الأول /ديسمبر ١٩٢٧م

في الجلسة السنوية بقاديان

ترجمة: محمد طاهر نديم

Injāẓātul-Masīḥil-Mau'ūd 'Alaihis-Salām

اسم الكتاب: إنجازات المسيح الموعود

الطبعة الأولى: ١٤٣٤هـ/ ٢٠١٣م

An Arabic rendering of:
Ḥaḍrat Masīḥ-e-Mau'ūd 'Alaihis-Salām Kay Kārnāmay
(Achievements of the Promised Messiah, on whom be peace)
A speech delivered by
Ḥaḍrat Mirzā Bashīrud-Dīn Maḥmūd Aḥmad,
Khalīfatul-Masīḥ II (May Allah be pleased with him),
The Promised Reformer and Promised Son

Translated from Urdu by: Muhammad Tahir Nadeem

First Arabic translation published in the UK: 2013

© Islam International Publications Ltd.

Published by:
Islam International Publications Ltd.
Islamabad, Sheephatch Lane
Tilford, Surrey, GU10 2AQ
United Kingdom

Printed in the UK at:
Raqeem Press
Tilford

For further information please contact:
Phone: +44 1252 784970
Fax: +44 1252 781692
www.islamahmadiyya.net

Cover designed by: Anan Massoud Odeh

ISBN: 978-1-184880-433-3

بسم الله الرحمن الرحيم

فهرس

مقدمة الناشر أ

إنجازات المسيح الموعود عليه السلام ١

الإنجاز الأول ١٤

الإنجاز الثاني للمسيح الموعود عليه السلام ٢٣

الإنجاز الثالث للمسيح الموعود عليه السلام ٢٧

الإنجاز الرابع للمسيح الموعود عليه السلام ٤٥

تصحيح الأفكار الخاطئة عن الوحي ٤٥

تصحيح الأخطاء المتعلقة بالقرآن الكريم ٦١

أصول تفسير القرآن ٧٨

الإنجاز الخامس: إزالة الأخطاء السائدة عن الملائكة ٨٥

الإنجاز السادس: إزالة أخطاء الناس عن الأنبياء ٨٨

الإنجاز السابع: تصحيح الأخطاء المتعلقة بالمعجزات ١٠٣

الإنجاز الثامن: إقامة عظمة الشريعة ١٠٦

الإنجاز التاسع: تصحيح الأخطاء المتعلقة بالعبادات ١١٢

الإنجاز العاشر: تصحيح الأخطاء في الفقه ١١٤
الإنجاز الحادي عشر: إقامة حقوق المرأة ١١٧
الإنجاز الثاني عشر: إصلاح الأعمال ١٢١
نقطة لطيفة ١٢٧
تعريف الحسنة والسيئة ١٣٠
الإنجاز الثالث عشر: إيجاد أسباب ازدهار الإسلام والمسلمين ١٣٥
الإنجاز الرابع عشر: إقامة الأمن والسلام ١٤٤
الإنجاز الخامس عشر: إصلاح الأفكار المتعلقة بالمعاد ١٥٠

بسم الله الرحمن الرحيم   نحمده ونصلي على رسوله الكريم

وعلى عبده المسيح الموعود

مقدمة الناشر

هذا الكتاب في أصله خطاب ألقاه مرزا بشير الدين محمود أحمد، المصلح الموعود، والخليفة الثاني للمسيح الموعود عليه السلام في الجلسة السنوية في قاديان عام ١٩٢٧. وهو أوّل كتاب يعرض إنجازات المسيح الموعود عليه الصلاة والسلام عرضًا جامعًا شاملا متكاملا، فبهذا العرض تظهر الأهمية الحقيقية لبعثة حضرته. أما العرض المجتزأ فلا يؤدي إلى ذلك.

وقد ذكر رضي الله عنه خمسة عشر إنجازا هاما للمسيح الموعود عليه الصلاة والسلام، وهي: البرهان على وجود الله من خلال صفاته الكاملة، وتأسيس جماعة فعالة، وإصلاح الفساد الحاصل في أفكار الناس عن الذات الإلهية وصفاته العلية، وإظهار حقيقة كلام الله تعالى وتصحيح الأفكار الخاطئة المنتشرة بين الناس، وإزالة الأخطاء السائدة عن الملائكة وعن الأنبياء وعن المعجزات وإقامة عظمة الشريعة وتصحيح الأخطاء المتعلقة بالعبادات وتصحيح الأخطاء

في الفقه وإقامة حقوق المرأة، وإصلاح الأعمال، وإيجاد أسباب ازدهار الإسلام والمسلمين، والتأسيس والتأصيل للأمن والسلام، وإصلاح الأفكار المتعلقة بالمعاد.

وبيّن المؤلف أن الإنجازات أكثر من ذلك، وأنه لم يذكر إلا رؤوس الأقلام في هذا الخطاب.

ولقد نال شرف تعريب هذا الكتاب الداعية محمد طاهر نديم، فجزاه الله أحسن الجزاء. كما نشكر الأساتذة الأفاضل التالية أسماؤهم لمساهمتهم في إخراج هذا السِّفْر المبارك وهم: تميم أبو دقة، هاني طاهر، د. علي البراقي، د. وسام البراقي، د. محمد حاتم الشافعي، فتحي عبد السلام، خالد عزام، هاني الزهيري، ريم إخلف، نسيبة الإسلامبولي، وعبد المؤمن طاهر.

نسأل الله تعالى أن يوفق القارئ الكريم للاستفادة من هذا الكتاب العظيم، وأن يجعله منار هداية الراغبين في معرفة صدق المسيح الموعود والإمام المهدي عليه السلام. آمين.

الناشر

بسم الله الرحمن الرحيم

نحمده ونصلي على رسوله الكريم

إنجازات المسيح الموعود عليه السلام

أُلقي في ٢٨ كانون الأول/ديسمبر ١٩٢٧

بمناسبة الجلسة السنوية في قاديان

❁❁❁❁❁

﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ لِأُولِي الْأَلْبَابِ * الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَى جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَاطِلًا سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ * رَبَّنَا إِنَّكَ مَنْ تُدْخِلِ النَّارَ فَقَدْ أَخْزَيْتَهُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ * رَبَّنَا إِنَّنَا سَمِعْنَا مُنَادِيًا يُنَادِي لِلْإِيمَانِ أَنْ آمِنُوا بِرَبِّكُمْ فَآمَنَّا رَبَّنَا فَاغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَكَفِّرْ عَنَّا سَيِّئَاتِنَا وَتَوَفَّنَا مَعَ الْأَبْرَارِ * رَبَّنَا وَآتِنَا مَا وَعَدْتَنَا عَلَى رُسُلِكَ وَلَا تُخْزِنَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّكَ لَا تُخْلِفُ الْمِيعَادَ * فَاسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ أَنِّي لَا أُضِيعُ عَمَلَ عَامِلٍ مِنْكُمْ مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى بَعْضُكُمْ مِنْ بَعْضٍ فَالَّذِينَ هَاجَرُوا وَأُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَأُوذُوا فِي سَبِيلِي وَقَاتَلُوا وَقُتِلُوا

لَأُكَفِّرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَلَأُدْخِلَنَّهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ ثَوَابًا مِنْ عِنْدِ اللهِ وَاللهُ عِنْدَهُ حُسْنُ الثَّوَابِ﴾ (آل عمران: ١٩١- ١٩٦)

تتضمن هذه الآيات تنويهًا إلى الموضوع الذي أريد تناوله اليوم. وهذا الموضوع هام لدرجة أنه يعدّ قضية حاسمة للجماعة. ولو استوعبه أفراد الجماعة على النحو الذي أريده لسَهُلتْ عليهم مهمة التبليغ كثيرًا بإذن الله تعالى.

لقد توصلتُ بعد تفكير كثير إلى نتيجة أنه لو عُرض الصدق على العالم بصورة مجزّأة لما أظهر ذلك التأثير الذي يظهر عند عرضه بصورة جامعة وشاملة ومتكاملة، فلو جدع أحد أجملَ أنوف الناس ثم عرضه وقال متسائلا: ما أروع هذا الأنف؟! لما وجد أحدًا يعترف بجماله، وكذلك لو قطع أذنَ شخص جميل ثم سأل الناس عن جمالها لما أحس بجمالها أحد، ولكنّ عرضَ جميع الأعضاء وحدةً واحدة يترك على القلب تأثيرًا إيجابيًا رائعًا. كذلك يجب أن نفكر بخصوص دعاوى المسيح الموعود عليه السلام تفكيرًا جامعًا وشاملا ومتكاملا، فنرى هل يثبت صدقه من الله تعالى أم لا؟

لقد كتب إليّ اليوم شخص من غير الأحمديين قائلا: نأتي إلى هنا لنسمع عن صدق الميرزا المحترم ولكن يبدو أن هناك قصورًا شديدًا في المادة المعروضة أثناء الجلسة بهذا الخصوص.

إنني أرى أن مطالبته في محلها، ولكن يجب أن يأخذ هذا الأخ والإخوة الآخرون بعين الاعتبار أن هذه الجلسة تهدف إلى تربية أفراد الجماعة أيضا، لذلك فلا بد أن تضم خطاباتها مواضيع من كلا النوعين. ولكن أقول لهذا الأخ إن موضوع خطابي اليوم يحقق مطلبه، إذ هو: ما هي الإنجازات التي حققها المسيح الموعود عليه السلام؟

أقول مع الأسف الشديد أن الجماعة قد أظهرت إهمالا كثيرًا تجاه هذه القضية ولم تُلق نظرة شاملة وتفصيلية على أعمال المسيح الموعود عليه السلام وإنجازاته. لقد سمعت الناس يتساءلون مرارًا: ما الحاجة التي دعت إلى بعثة الميرزا المحترم؟ ولكن لو ألقينا نظرة تفصيلية على ما قام به المسيح الموعود عليه السلام لوجدنا تلك الأمور التي دعت إلى بعثته ماثلة أمام أعيننا. وإن الرد على هذا التساؤل يقع على جانب كبير من الأهمية، بل هو الحجة البالغة لدرجةٍ لا يسع أي محب للحق والصدق إنكارها. وهذا السؤال هام لدرجةٍ لا يمكن فيها أن يميل أي عاقل فهيم نحو الجماعة دون استيعابه؛ فكيف لأحد أن يلتفت إلى المسيح الموعود عليه السلام ما لم تنتقش في قلبه أهمية ما قام به عليه السلام؟

لا شك أن آيات الصدق الجديدة التي تأتي من الله تعالى تشكل بحد ذاتها برهانًا على الصدق، إلا أنها لا تؤثر شيئًا ما لم تقدَّم أمام العالم بصورة يدرك الناس أهميتها ونفعها. فلا بد من الرد على هذا التساؤل.

إن من يطرح سؤالَ؛ ما هي الإنجازات التي قام بها السيد الميرزا، يقصد أن نعطيه شيئا ملموسًا بيده، فإنه يريد دليلا يجد مثيله في الماديات دون الروحانيات. وبعض الناس يحاولون أن يتوصلوا إلى النتيجة قبل الأوان، فإنهم يستعجلون ويسألون مبكّرا عن النتيجة. مثلهم كمثل الذي يقول: لم أرزق بولد، لذلك سأتزوج زواجًا ثانيًا، ثم عندما يتزوج يصل أصدقاؤه إلى بيته في اليوم التالي فيسلمون عليه ويسألونه قائلين: هل وُلِد لك؟ فيرد: لا، لم أرزق بولد بعد؟ فيردون عليه: فلماذا إذًا تزوجتَ؟ ذلك أن أقل مدة لظهور نتيجة الزواج هي تسعة أشهر، ولو قللنا هذه الفترة إلى أدنى حدودها فستكون سبعة أشهر، لذا لا بد من الانتظار إلى هذه المدة. ومن الخطأ المطالبة بالنتائج قبل مضي المدة المحددة لعمل من الأعمال.

الحقيقة أن من يطرح مثل هذه الأسئلة يقع في خطأَين اثنين:

أحدهما أنه يريد ردًّا ماديًا ملموسًا، فيقول على سبيل المثال: أخبرونا أين أقيمت حكومة المسلمين؟ أو أخبرونا عن عدد الكفار الذين قتلتموهم؟ وكم عدد الحكومات التي هزمتموها؟ باختصار فإن مثل هؤلاء الناس إما أنهم يريدون أن يروا القناطير المقنطرة من الذهب والفضة أو أكوامًا من جثث القتلى.

والخطأ الثاني هو أنهم يبحثون عن النتائج في غير موعدها، في حين أن مثل هذا السؤال دقيق جدًّا، فلو طبقوه على الأنبياء السابقين لعرفوا

أنه لا يوجد سؤال أدق منه، بل هو أدق ما يكون فيما يتعلق بالأنبياء الذين أتوا بشريعة. مثلا لو سأل أحد في عهد النبي ﷺ عما أنجزه؟ لكان بالإمكان القول إن كذا من السُّوَر قد نزلت عليه. وما كان هذا الرد مقنعًا لمثل هؤلاء السائلين، لأن الشريعة لم تنـــزل على النبي ﷺ جملة واحدة وبصورة كاملة. بل كانت بعض أحكامها قد نزلت، وكان يمكن أن يقال عن الإسلام قبل نزول الشريعة كاملة كما يقال اليوم عن السيخ والبهائيين بأن شريعتهم ناقصة غير كاملة. فلو سأل أحد، في الوقت الذي لم تنـــزل فيه أحكام الميراث بعد: ما هي أحكام الميراث في الإسلام؟ لما كان إعطاء أي ردٍّ له بمستطاع. فلا يمكن تقديم الشريعة برهانًا إلا بعد اكتمالها، أما في زمن النبي فيمكن أن يقال إن السور التي تنـــزلت حتى الآن تحتوي على قضايا لم ترد في الكتب الأخرى، ولكن ما كان لأحد القول بأن الشريعة قد اكتملت لأنها لم تكن كاملة إلى ذلك الحين. باختصار لا بد من التعرض لهذه المشكلة بخصوص النبي التشريعي أيضا، إلا أنه يمكن أن تقدَّم بعض الأحكام النازلة عليه، ولكن ماذا عسى أن يقدِّم أحد لإثبات صدق نبي غير تشريعي قبل هذا الوقت؟ فمَن يسألون: ما هي الأعمال التي أنجزها المسيح الموعود حتى يُعدَّ الإيمان به ضروريا؟ نقول لهم: لم يكن المسيح الموعود عليه السلام بدعًا من الرسل، قد خلت قبله آلاف من الرسل الذين ورد ذكرهم في القرآن الكريم والكتب الأخرى، وذكر الله بضعًا وعشرين منهم في القرآن الكريم

أيضا، وجميعهم - ما عدا اثنين أو ثلاثة – كانوا ممن لم تنـــزل عليهم شريعة جديدة. نقول لهم: دعكم من هذا السؤال عن الميرزا المحترم، أخبرونا أولا، لو سأل الناس المسيح الناصري عليه السلام عند إعلانه أنه بُعث نبيًا ورسولا من الله: ما هي الأعمال التي أنجزتها حتى نؤمن بك؟ فماذا عسى أن يكون جوابه؟ أو ماذا عسى أن يكون رد حوارييه إذا طُرح عليهم هذا السؤال؟ لعل أكثر ما يستطيعون قوله هو أن المسيح قد أحيا الأموات. ولكني أقول هذه ليست إنجازات أو أعمال بل هي آيات ومعجزات، ويمكننا أن نقدم مثل هذه الآيات للميرزا المحترم أيضا. إذا كان المراد من إنجازات نبيٍّ الأعمال التي قام بها لنفع العالم وازدهاره - فماذا لو سئل السيد المسيح: ما هي تلك الأعمال التي نفعتَ بها العالم من ناحية المعتقدات والأعمال، ومن ناحية السياسة والحضارة، فماذا عسى أن يكون ردّ المسيح الناصري عليه السلام؟ أو ماذا عسى أن يكون ردّ الحواريين بعده؟ دعوا ردّهم، واسألوا المسيحيين اليوم، بعد مضي تسعة عشر قرنًا على زمن المسيح عليه السلام، عن الإنجازات التي حققها المسيح؟- فلعل أكبر ردودهم هو أن المسيح نشر المحبة في العالم وقال: "مَنْ لَطَمَكَ عَلَى خَدِّكَ الأَيْمَنِ فَحَوِّلْ لَهُ الآخَرَ أَيْضًا." (إِنْجِيلُ مَتَّى ٥: ٣٩)، أو أنه وعد بإقامة ملكوت الله، ولكن السؤال هو: هل تلقى المؤمنون به ذلك الملك؟ إنهم لم يعطَوا إلا الوعد، فإذا كان الوعد المجرد يبعث على الاطمئنان فيمكننا أن نقدم ما وُعدنا به على لسان المسيح الموعود عليه السلام

حيث قال إن ملكوت الله تعالى سوف يقام في الأرض كلها، بل أعطانا وعودًا أكبر منها بكثير، حيث قال بأن الجماعة الإسلامية الأحمدية سوف تزدهر ازدهارًا عظيمًا وتنتشر في العالم كله انتشارًا لدرجةٍ لن تبدو مقابلها جماعات العالم إلا كمثل طوائف الغجر القديمة، فإذا كان الوعد يبعث على الطمأنينة فبإمكاننا تقديم هذا الوعد أيضا، ونحن نوقن بأنه سيتحقق في وقته. فلو سئل الحواريون بعد وفاة المسيح الناصري عليه السلام أين هو الـمُلك الذي وُعدتموه، ولم يستطيعوا إراءته، فهل سيكون هذا دليلا على كذب المسيح؟ أو لو سأل الناس المسيحيين الذين كانوا بعد زمن الحواريين أين الـمُلك الموعود على لسان المسيح عليه السلام، ولم يتمكنوا من إراءته، فهل كان ذلك يشكل برهانا على كذب المسيح؟ ما نالت الأمة المسيحية الملك إلا بعد ثلاثمئة سنة. فلو كان الادعاء يمثل دليلا على النجاح في الأمور المادية فإننا أيضا ندعي بأن جماعتنا سوف تنتشر في العالم كله، وستحرز ازدهارًا وعظمةً وشوكةً على الساحة الدنيوية أيضا. ولكن لو قلتم بأنه لم يتحقق هذا الادعاء لقلنا لم يتحقق وعد إقامة الملكوت في عصر المسيح الناصري أيضا، فهل دلّ ذلك على كذبه؟ ثم لم يتحقق هذا الوعد إلى ثلاثمئة سنة، فهل دلّ على أن صدق المسيح لم يثبت إلى كل هذه المدة؟ ولكن لو كان صادقًا طول هذه الفترة أيضا مع عدم تحقق الوعد المذكور، فلماذا لا يكون المسيح الموعود عليه السلام أيضا صادقًا الآن، لأننا لا نزال في زمن حوارييه.

باختصار، إن الإجابة القاطعة الصريحة التي يريدها الناس اليوم عن صدق المسيح الموعود عليه السلام لم يجدوها في عصر المسيح الناصري ولا في عصر حوارييه ولا حتى خلال ثلاثمئة سنة من بعثته. ولكنكم ستتلقون ردودًا مفصلة على هذا السؤال لو طرحتموه على العالم المسيحي اليوم. فلو قدّمتم أمام الناس قبل ١٩ قرنًا الجملة التالية للسيد المسيح: "من لَطَمَكَ عَلَى خَدِّكَ الأَيْمَنِ فَحَوِّلْ لَهُ الآخَرَ أَيْضًا" لقالوا —والعياذ بالله– مَن المجنون الذي قالها؟! ولكن لو توجهتم إلى أكابر فلاسفة العالم اليوم وسألتموهم: ما الذي فعله المسيح بمجيئه إلى هذا العالم، لعدّوا السائل مجنونًا وسيقولون: إنه لمن الجنون والهراء مثل هذا السؤال عن ذلك المسيح الذي قد غير حياة ملايين من الناس بجملته هذه "من لَطَمَكَ عَلَى خَدِّكَ الأَيْمَنِ فَحَوِّلْ لَهُ الآخَرَ أَيْضًا". ويظهر تأثير هذه الجملة في المسيحيين اليوم أيضا لدرجة أنهم رغم ممارستهم أعمال الظلم الكبيرة يكتنفون في قلبهم شيئًا من الرحمة، وأقل ما يفعلونه بناء على هذا التأثير هو إعلانهم لدى ممارستهم الظلم: أنهم قد اضطروا لذلك من أجل خيرِ شعبٍ أو قوم معين، ولو كانوا في الحقيقة يسلخونهم، إلا أنهم يمررون أياديهم على رؤوسهم ويقولون لهم مطَمْئِنين: لا نفعل ذلك إلا لخيركم؛ مما يعني أن الشعور بالرحمة قد ترسخ في قلوبهم لدرجة أنهم لا يتورعون عن إظهاره حتى أثناء ممارستهم الظلم. باختصار، يعتقد الناس اليوم أن المسيح قد أحدث في المؤمنين به انقلابًا عظيمًا.

كذلك لو سئل ماذا فعل بوذا؟ وأجاب الناس في عصره أنه قال بإبطال الشهوات كلها، لضحك الجميع وقالوا أيُعدُّ هذا إنجازًا؟ وأنى لعاقل أن يقدم مثل هذا التعليم؟ ولكن هذا التعليم نفسه قد أحدث فيما بعد تغييرًا عظيمًا بحيث قضى على حياة اللهو والانحراف والانحلال الخلقي لدى الهندوس وأنقذهم من الدمار. لقد كان الاتجاه الديني السائد عند ولادة بوذا هو منهج الفرقة الهندوسية "الدامارغية" التي تستبيح الزنا بالأم أو الأخت وتراه عملا يثاب عليه. لا يزال هؤلاء الناس موجودين ويرتكبون هذه الأفعال الشنيعة ولا يرونها سيئات، وبعض زهادهم في الدنيا يأكلون القذارة، ويُدعَون بـــ "ماتنغي" أي من يستبيحون أمهاتهم؟ على أية حال، كانت فكرتهم سائدة على نطاق واسع حين جاء بوذا وقدم تعليم إبطال الشهوات. لم يلق هذا التعليم إقبالا وتقديرًا في ذلك الوقت، إلا أنه خلال فترة قصيرة غيَّر حالة الناس، ونتيجة لذلك لم يبق في الهند كلها الآن إلا بضع مئات ألوف ممن لا يزال يتمسك بذلك المعتقد الفاسد، بينما كانوا يمثلون الأغلبية الساحقة في عصر بوذا.

كذلك لو سئل كرشنا في عصره عن الأعمال التي قام بها، أو سئل عنها رام تشندر، فماذا عسى أن يكون جوابهما؟ أو لو سئل المسلمون هذا السؤال نفسه عن زمن إسماعيل وإسحاق وزكريا عليهم السلام فماذا عسى أن يردوا به؟ أو إذا سئلوا عن يوسف عليه السلام فهل سيخبرون أنه حافظ على خزائن الملك بكل أمانة؟ فهل يُعدّ هذا إنجازًا؟ يمكن أن

تجد بين الإنجليز كثيرين باسم مثل وود[1] أو فوكس[2] من يؤدي هذه المهمة بأمانة. كذلك لو سأل أحد عما حققه النبي "إرميا" فماذا عسى أن يلقى ردًّا؟ هل يقال له إن "إرميا" ظل يبكي ويحزن على الناس لأنهم لا يفيقون من سباتهم. قد تجدون ردا كهذا عن بعض الأنبياء، أما عن بعضهم الآخر فقد لا تجدون حتى مثل هذه الردود أيضا، ولكن من يسعه القول بأن تعاليمهم لم تحدث أي تغيير في العالم ولم تسفر عن نتائج عظيمة؟ الحقيقة أنه تبذر في حياة النبي بذرة للانقلابات المستقبلية، ثم تتحول هذه البذرة إلى دوحة عظيمة ولكن لا يمكن إراءة هذه

---

[1] يشير المصلح الموعود ﷺ إلى John Wood (١٨١١-١٨٧١) الذي كان أحد أعضاء البحرية لشركة الهند الشرقية، وكان نائبًا لـــ Burns، وهو من أعد تقريرًا عن وادي كابول أثناء الرحلة إلى أفغانستان، واكتشف منبع نهر جيحون، وتوفي في السند. (اردو جامع انسائيكلوبيديا، ج٢، ص ١٧٩٥م، طبعة ١٩٨٨ لاهور). (الناشر)

[2] هو Fox, Charles James (١٧٤٩-١٨٠٦م)، كان سياسيًا إنجليزيا ومفكـرًا وأديبًا خطيبًا مفوّها يكن مواساة لأهل الهند، قدم مشروع قـانون في البرلمـان وعرف باسم Fox India Bill وكان يهدف إلى نزع زمام الحكم من شركة الهند الشرقية وتسليمه إلى لجنة مكونة من سبعة أعضاء. لقد دعم في البرلمان البريطـاني الإعمار السكاني الجديد لأميركا. كان شخصية اجتماعية تكن مواساة للجميع. عين في ١٨٠٦م سكرتيرا لوزارة الخارجية. (بابولر تاريخ انكلستان، ص٢٣٩-٢٤٠، طبعة لاهور. اردو جامع انسائيكلوبيديا، ج٢، ص١٠٥٤، طبعة لاهـور عام ١٩٨٨م). (الناشر)

الدوحة في حياة الأنبياء، أما الذي يمكن إراءته فهو البذرة التي يمكن أن يقال عنها إنها ستصبح شجرة ودوحة.

باختصار، من خلال النظر في حياة الأنبياء نصل إلى هذه النتيجة أن الأنبياء يتركون في العالم تأثيرًا روحانيًا دقيقًا لا يُدرك ماديًّا، إلا أنه يمكن أن يدرك عقليًّا بأن النبي قد ترك شيئًا يكفل إحداث نتائج عظيمة.

الحقيقة أن مَثَل الأنبياء كمثل مطر ينـــزل بعد فترة جفاف وانقطاع كانت قد أدت إلى ظهور تشققات وخشونة في جلد الأيدي والأرجل، وتأثرت بها الأشجار أيضا، ولكن عندما يبدأ هطول الأمطار تعود النعومة والليونة إلى الأيدي، وتنمو الخضرة وتبدأ أمور كثيرة بالظهور. فإن السؤال عن ماذا حقّق نبيٌّ في بداية عهده لهو سؤال دقيق جدًّا، وينبغي للمؤمن أن يفكر فيه بكل حيطة وتدبر. فمن أراد أن يترك الإيمان بنبيٍّ بحجة أنه لا يرى في المرحلة الابتدائية لحياته أي عمل أو إنجاز ملموس أو نجاح وتغير كبير فإنه سيضطر لترك الأنبياء كلهم، وذلك لأنه لو صحّ معياره هذا فلا بد من اختبار صدق الأنبياء السابقين عليه أيضا، وبالتالي ينبغي له أن يترك الأنبياء جميعًا. ولكن لما كان المسلمون يؤمنون بصدق الأنبياء، لذلك فإنهم يضطرون للتسليم بأنه لا بد من أخذ بعض الأمور الدقيقة بعين الاعتبار عند البحث عما حققه الأنبياء.

بعد هذه المقدمة أتحدى أنه لو أخذ أي مسلم إنجازات المسيح الناصري عليه السلام الواردة في القرآن والحديث وأخذ أي مسيحي إنجازاته

الواردة في الأناجيل وقدماها لي، فإنني أستطيع أن أقدم مقابل كل واحد منها مئة إنجازٍ للمسيح الموعود عليه السلام بالعظمة والمرتبة نفسها. فلو قال أحد إن المسيح الناصري كان يحيي الأموات قلت: أخبرني من القرآن الكريم عن نوع الموتى الذين كان المسيح قد أحياهم؟ ثم سأخبرك عن مئة أحياهم المسيح الموعود عليه السلام مقابل واحد وفق معيار الإحياء الذي يثبت حدوثه على يد المسيح الناصري عليه السلام.

مع كل ذلك فكما قلتُ بإن إحياء الأموات الماديين ليس بعمل يُذكَر، لأنه لو حُمل على الظاهر فسيُسمّى معجزة، كذلك ليس إبراء المرضى بعمل يُذكَر، لأن هذا ما يقوم به الأطباء أيضا. ولكن نتائج هذه المعجزات يمكن أن تعُدَّ إنجازات وأعمالا، كأن يقال إنه عليه السلام خلق في الناس طهارة وعفة من خلال تلك المعجزات، ولكن حتى لو أثبت أحد مثل هذه الآيات أيضا، لوجدني مستعدًّا لأقدم مقابل كل آية مئة آية للمسيح الموعود عليه السلام إن شاء الله. وبالإضافة إلى ذلك، لو أثبت أي مسلم من القرآن الكريم أو أي مسيحي من الأناجيل أي عمل أو إنجاز آخر للمسيح الناصري عليه السلام، فإنني سأقدم مئة عمل وإنجاز مشابه له للمسيح الموعود عليه السلام.

والآن أذكر لكم ما حققه المسيح الموعود عليه السلام من مهمات وإنجازات، علمًا أن المهام التي يتم إنجازها في العوالم الروحية للأصحاب هي الأعمال الرئيسية والحقيقية التي يحققها نبي من الأنبياء، إلا أنني لن

أتعرض لها لأنني لو عرضتها لأمكن لقائل أن يقول: هذا ما تدّعون به أنتم ولا يسع أحدًا التسليم بهذا الأمر. فمثلا؛ إن المهمة الأساسية والحقيقية الموكولة إلى كل نبي هي أن ينشئ علاقة بين الإنسان وربه، فلو قلتُ إن الميرزا المحترم قد وُفِّق إلى إنشاء هذه العلاقة بين أتباعه وبين ربهم، فقد يقول أحدهم: هذا ما تدعونه؛ ولا يمكن أن يقبله مَن لا يؤمن بالميرزا المحترم. لذلك فسأترك هذه الأمور جانبًا وأتناول المهام البارزة الأخرى التي ستكون مقبولة عند الآخرين أيضا.

الإنجاز الأول

المهمة الأولى للمسيح الموعود عليه السلام هي المهمة الموكولة إلى جميع الأنبياء؛ وهي أن النبي **يقدم برهانًا على وجود البارئ من خلال إثبات صفاته الكاملة**. يكون الله تعالى خافيًا على الناس عند بعثة النبيّ، فيقوم بإثبات وجوده تعالى من خلال إثبات صفاته الكاملة. ولقد أصبح الله تعالى خافيًا على الناس في العصر الذي بُعث فيه المسيح الموعود عليه السلام ، بل كان قد أصبح خافيًا مستورًا لدرجة أن العباد ما عادوا قادرين على إقامة العلاقة الحقيقية معه، وكان مسطورا في الكتب بأن الله خالق كل شيء ومالكه دون أن يمس قلوب العباد برهانٌ على حقيقة وجوده. فإذا سئل المسلمون عن برهان على صفة الله الخالق ردّوا عليه قائلين: هذا مذكور في القرآن الكريم، أو قالوا: أفلا تؤمن بأن الله خالقٌ؟ فلو لم يكن هو الخالق فمن غيره إذًا؟ ففي مثل هذا العصر أقام المسيح الموعود عليه السلام ذِكْرَ الله تعالى — الذي كان قد اختفى حقيقةً – من خلال إثبات صفات الله الكاملة التي برهن عليها بالآيات الواضحة البينة التي تلقاها. لقد قلتُ آنفًا إن الآية ليست عملا عظيمًا بحد ذاتها، بل نتائجها هي التي تعدّ إنجازًا. فلا أعرض الآن الآيات التي جاء بها المسيح الموعود عليه السلام بل أخبركم أنه عليه السلام من خلال إراءته هذه الآيات قد عرّف العالم على الله تعالى بكامل صفاته. فعلى سبيل المثال هناك وحي تلقّاه في بداية

عهده: "جاء نذير في الدنيا، فأنكروه أهلها وما قبلوه، ولكن الله يقبله، ويُظهر صدقه بصولٍ قويٍّ شديدٍ صول بعد صولٍ." (البراهين الأحمدية، الجزء الرابع، الخزائن الروحانية مجلد ١، ص ٦٦٥ الهامش ٤)

لقد نشر عليه السلام هذا الإلهام حين لم يكن معروفا حتى في أهل بلدته. لقد بايع (في عهدي) أحد أقاربي القاطنين في القرية المجاورة وأخبرني أنه كان يرتاد هذا المكان وكان يأتي إلى بيتي أيضا، فكان يعرف والدَ الميرزا المحترم دون أن يعرفه عليه السلام. فكان عليه السلام خامل الذكر لهذه الدرجة، حتى إن الأقارب أيضا لم يكونوا يعرفونه، كما لم يكن أهل قاديان أيضا يعرفونه، ولكن الله تعالى قال له في هذا الوقت: "جاء نذير في الدنيا، فأنكروه أهلها وما قبلوه، ولكن الله يقبله، ويُظهر صدقه بصولٍ قويٍّ شديدٍ صول بعد صولٍ."

لاحظوا، ما أعظم هذا النبأ الذي أُعطيَه المسيح الموعود عليه السلام بهذه الكلمات! فهل بوسع إنسان أن يتنبأ بمثل هذا النبأ؟ لقد تلقى المسيح الموعود عليه السلام هذا الوحي قبل بعثته وكان ينطوي على **أنباء تالية:**

النبأ الأول: أنه سيبقى حيًّا وسيقوم بالإعلان عن بعثته.

والنبأ الثاني هو أن العالم سوف ينكره ويرفض الإيمان به عند قيامه بهذا الإعلان.

والنبأ الثالث أن العالم لن يناصبه العداء البسيط بل يشن عليه هجمات من جميع الأنواع.

والنبأ الرابع أن الله تعالى سوف يردّ جميع تلك الهجمات وتنـــزل على العالم أنواع العذاب.

والنبأ الخامس أن صدقه سوف يظهر في نهاية المطاف.

لم تكن عاديةً هذه الأنباء التي أُخبر بها عليه السلام قبل حدوثها بزمن لأن الأوضاع الظاهرة كانت منافية جدًّا لتحققها. كان المسيح الموعود عليه السلام يعاني ضعفًا في حالته الصحية منذ البداية لدرجة أنّ مَن حوله كانوا يظنون عند الهجمة المفاجئة لبعض الأمراض أنه فارق الحياة. ومع كل ذلك فقد نشر عليه السلام- وفق هذا الوحي - أن ذلك الزمن قريب حين يتم الإعلان عن بعثته، ويلقى معارضة الناس. إن معارضة الناس أيضا شيء لا يحظى به الجميع. لقد ادعى أحدهم من سكان "غوجرانواله" أنه مبعوث من الله، وظلّت تصلني رسائله التي كان يقول فيها: إن لم تعدّني صادقًا فلماذا لا تكتب ضدي؟ وماذا حلّ بجريدة "الفضل"؟ لماذا لا تكتب شيئًا؟ فإنْ لم تستطع أن تكتب شيئا موافقًا لي فلتكتب شيئًا ضدي، فخطر ببالي أن مواجهة المعارضة أيضا تُقدّر من الله تعالى لأنها تؤدي في النهاية إلى نشر الدعوة. كذلك وجدتُ مكتوبًا في مجلة "الجكرالويين" (القرآنيين): لماذا لا يُرَدُّ علينا؟ فباختصار بعد بعثة المسيح الموعود عليه السلام ظهر خمسة أو سبعة؛ منهم ظهير الدين، وعبد اللطيف، والمولوي محمد يار، وعبد الله تيمابوري، ونبي بخش وغيرهم، وقد ادّعى هؤلاء النبوة من خلال إعلانات نشروها، وهناك غيرهم أيضا، إلا أنهم

لم يلقوا معارضة فلم يتيسر لهم هذا الأمر. لقد أثبت هؤلاء المدّعون خطأَ الذين يكذّبون الميرزا المحترم بحجة أنه لاقى معارضة الناس وأظهروا أن حجة كهذه داحضة، لأن المدعين الكَذَبة لا يلقون المعارضة.

على أية حال، لو لاقى أحد معارضة فقد تنحصر في المعارضة الكلامية فحسب، ولكن النبأ الثالث الذي أنبأ به الله تعالى عن الميرزا المحترم هو أن هذه المعارضة لن تكون عادية، وإنما ستكون شديدة لدرجة أن الله تعالى سيشن لردّها هجمات قوية صولا بعد صول. فقد أنبأ هنا أنه عليه السلام سيواجه هجمات شديدة، ثم تكون هذه الهجمات متنوعة ومن قبل جماعات مختلفة؛ أي أن المعارضين سيشنّون هجمات شتى وشديدة، وسيرد الله تعالى عليها بهجمات قوية أيضا. فلقد واجه عليه السلام هجومًا شرسًا متنوعًا من قبل المعارضين وبلغت الهجمات المعادية درجة أن الحكومة كانت تتأهب لاعتقاله من جهة، كما وقف له بالمرصاد المشايخ والمتصوفة وأصحاب الزوايا المعارضون من جهة أخرى.

لم يدخر عامة المسلمين وسعًا في حياكة المكائد ضده، كما أنفد الهندوس والسيخ والمسيحيون من الديانات الأخرى جهودهم للقضاء عليه وقتله وإلصاق التهم به، كما تهجّموا على عرضه ومكانته وأخلاقه وأمانته وتقواه وعفته وطهارته، إلا أنهم أخفقوا جميعا، وازداد هو عليه السلام عزًّا وشرفًا.

كان النبأ الرابع في الإلهام هو أن الله تعالى سيوجه هجمات قوية ردًّا على هجمات المعارضين، وحدث كما أنبِئ، فكل من شنَّ هجمة عليه قد بُطش به.

أما النبأ الخامس - وهو الأمر الأخير المذكور في هذا الإلهام - هو أن الله تعالى سيظهر صدقه عليه السلام، وإن هذا الاجتماع لخير دليل على تحقق هذا النبأ. فقد انتشر أتباع المسيح الموعود في العالم كله، فهم موجودون في أميركا وأوروبا وأفريقيا، كما أنهم موجودون في كل مناطق آسيا أيضا. أوليس عجبًا أنه لم يُسلم على يدِ أربعمئةِ مليونٍ من المسلمين عددٌ من سكان أميركا كعدد الذين أسلموا منهم بجهود متواضعة لهذه الجماعة القليلة العدد، إذ إن هناك مئة مسلم أحمدي أميركي مقابل مسلم واحد أسلم عن طريق المسلمين غير الأحمديين، كذلك في هولندا حيث لا يوجد ولا مسلم واحد دخل الإسلام عن طريق المسلمين غير الأحمديين إلا أنه يوجد فيها مسلمون أحمديون. وفي بعض البلاد يزيد عدد المسلمين الأحمديين على العدد الإجمالي للمسلمين غير الأحمديين القاطنين فيها، ما أعظمها من آية! وما أعظمه من برهان على ظهور صدق المسيح الموعود عليه السلام بصولٍ قويٍّ شديدٍ صول بعد صولٍ!

انظروا في الهند وحدها، حيث إن الحالة الظاهرة للجماعة ضعيفة جدًّا مقابل المسلمين غير الأحمديين، مع ذلك تزدهر الجماعة بسرعة. يقول البعض إن أتباع الBANDIT "سوامي ديانند" و"الحسن الصباح" أيضا

أحرزوا الازدهار! لعلهم أحرزوا بعض النجاح والازدهار المزعوم، ولكن أخبروني هل سبقه ادعاؤهم في زمن الضعف بأنهم سوف ينالون الرقي والازدهار؟ وهل نشروا إعلان الرقي والازدهار المذكور منسوبًا إلى الله تعالى؟ فهناك بونٌ شاسع بين من يحرز ازدهارًا بالصدفة وبين من يحققه بعد ادعاء احرازه. "اللورد ريدنغ"[٣] - الذي كان نائبًا للملكة البريطانية بالهند - كان موظفًا عاديًا، غير أنه أحرز رقيا تلو رقيّ حتى وصل إلى هذا المنصب المرموق، وهذا من قبيل المصادفات، أما الازدهار الذي يُعدّ علامة صدق فهو ما يُعلن عنه سلفًا ثم يتحقق بحسبه.

ثم هناك إلهام آخر للمسيح الموعود عليه السلام قال له الله تعالى فيه: "سأُبلِّغ دعوتك إلى أقصى أطراف الأرض." (جريدة "الحَكَم" مجلد ٣ رقم ٥ إلى ٧، ٢٧-٣-١٨٩٨ ص ١٣)

[3] اللورد ريدنغ (١٨٦٠- ١٩٣٥م) سياسي إنجليزي ومحامي شهير، عُيّن نائبًا عامًا بالهند عام ١٩١٠م، ثم من ١٩١٣ إلى ١٩٢١م قاضي القضاة في إنجلترا، ومن ١٩٢١ إلى ١٩٢٦م نائب الملكة في الهند، وكان قاسيًا وشديدًا نوعًا ما واستطاع إطفاء الفتنة السياسية مؤقتا إلا أن الحكومة الإنجليزية لم تذق طعم الطمأنينة على المدى البعيد. (اردو جامع إنسائيكلوبيديا، ج١، ص٦٩٤، طبعة لاهور ١٩٨٧م. (الناشر)

فانظروا الآن أن المسلمين الأحمديين موجودون حتى في بقاع تخلو من وجود المسلمين غير الأحمديين. هل من برهان أقوى من هذا على بلوغ دعوة المسيح الموعود عليه السلام أقصى أطراف الأرض؟!

كذلك فقد أعلن عليه السلام أن معارضته سوف تتضاءل رويدًا رويدًا، ويذيع صيته في العالم كله. فلما قدّم دعواه أمام العالم لاقى معارضة عنيفة خطيرة، إلا أنه قال في بيت شعر بالأردية:

وہ گھڑی آتی ہے جب عیسیٰ پکاریں گے مجھے
اب تو تھوڑے رہ گئے دجال کہلانے کے دن

أي إن تلك الساعة لقريبة حين يناديني الناس باسم عيسى، فلم يبق الآن إلا أيام قليلة لانتهاء تسميتي بالدجال.

لم يكن عليه السلام يُسمى من قبل المعارضين بأي اسم آخر غير الدجال، ولكن اليوم بفضل الله تعالى توسع نطاق دعوته كثيرًا لدرجةٍ أصبح كثير من غير المؤمنين به يطالب بعدم تسميته بالدجال لأنه أنجز أعمالا عظيمة.

كذلك فإن ازدهار قاديان آية عظيمة. وقد شارك في الجلسة السنوية الأخيرة في حياة المسيح الموعود عليه السلام سبعمئة فرد، ولما خرج عليه السلام للتنـــزه في تلك الأيام رجع بسبب الغبار الثائر جراء ازدحام الناس. أما الآن فإن حضر سبعة آلاف شخص في الجلسة السنوية لأثيرت ضجة

حول سبب عدد الحضور وماذا حل بهم؟ إذ أن عدد الحضور يزداد كل سنة، فقد ازداد في هذه السنة تسعمئة فرد عما كان عليه في الجلسة الماضية وفق إحصاء تمّ يوم ٢٧ ديسمبر من العام الماضي. وهذا يعني أن الزيادة في عدد الحضور سنويا يفوق كثيرًا كل عددَ الحضور في الجلسة الأخيرة في حياة المسيح الموعود عليه السلام.

كذلك فهناك نبوءات أخرى أيضا وردت بالآلاف في كتب المسيح الموعود عليه السلام.

كنت أطالع كتابًا للمسيح الموعود عليه السلام في أيام الجلسة فقرأت فيه قوله: كنا نريد نشر كتابٍ باسم "السراج المنير" إلا أنه قد حدث مانع سببه مبلغ مئة روبية. فتأخر نشر الكتاب لنقص مئة روبية، أما الآن فالمسيح الموعود عليه السلام ليس موجودًا فينا ولكن لما قدم خليفته مشروع التضحية المالية فقد قدّم أفراد الجماعة وعودًا لمئتين واثنين وثمانين ألف روبية[4].

باختصار لقد أظهر الله تعالى براهين ساطعة على وجوده وكمالات صفاته من خلال المسيح الموعود عليه السلام كما كان يظهرها من خلال الأنبياء السابقين. لقد سلطتُ الضوء على ذلك بشيء من التفصيل في كتابي "الأحمدية"، وكيف ظهرت وتجلت صفات الله في مسيرة المسيح

---

[4] لقد أشار رضي الله عنه هنا إلى التبرع في الصندوق الاحتياطي الذي قدم فيه أفراد الجماعة استجابة لطلبه رضي الله عنه وعودًا بمبلغ مئتين واثنين وثمانين ألف روبية. (الناشر)

الموعود عليه السلام إلا أنني لم أستطع في هذا الكتاب أيضا تناول الموضوع بجميع تفاصيله. وإن شاء الله سأكتب في وقت لاحق كتابًا أتناول فيه الصفات الإلهية التي ظهرت بجلاء بواسطة المسيح الموعود عليه السلام وأشرح فيه كيف أقيم البرهان على جميع صفات الله تعالى من خلال بعثته عليه السلام، وهذا هو العمل الرئيس لكل نبي.

الإنجاز الثاني

للمسيح الموعود عليه السلام

إحدى مهمات النبي أنه يوفَّق **لتأسيس جماعة فعالة**. انظروا الآن إلى ضعف جماعتنا ماليًا وعددًا ثم انظروا مقابله سعة أعمالها، ولا يسع أحدا إنكار هذا الأمر؛ إذ ليس هناك مَن يقوم بما تقوم به الجماعة الإسلامية الأحمدية. ولا يزال يُنشر في جرائد غير الأحمديين أيضا أنه إذا كانت ثمة جماعة فعالة فهي الجماعة الإسلامية الأحمدية. ولقد قمنا بتبليغ الإسلام في روسيا وفرنسا وهولندا وأستراليا وأميركا وإنجلترا وغيرها من البلاد، وبلغ الأمر درجة أن الناس يطالبوننا بأن نتوجه إلى بلادهم ونقوم فيها بتبليغ الإسلام، فلقد وصلَنا طلب من إيران يقول بأنه يجب أن يأتي الأحمديون لمواجهة البهائيين. بعض الناس يقارنون أعمال الجماعة بما يقوم به الآريا الهندوس، ولكني أقول لهم: قارنوا بين أموالهم وثرواتهم وبين أموال الجماعة، ثم قارنوا بين نطاق أعمالهم وبين سعة نطاق أعمالنا. هناك بعض الأثرياء من الهندوس يقدرون لوحدهم على تقديم مبلغ من المال لا تستطيع جماعتنا كلها تقديمه خلال سنة كاملة. ولا يقتصر عدد هؤلاء الأثرياء في الهندوس على واحد أو اثنين بل يكثرون عددًا. لقد اجتمعت الأمة الهندوسية كلها وشنت هجمتها الشرسة ضد

المسلمين في منطقة "ملكانه" إلا أنهم لاذوا بالفرار فور وصول مبلّغينا إلى هذه المنطقة. ولقد عُقد في تلك الأيام مؤتمر للمسلمين والهندوس وقُدِّم اقتراحُ عقدِ الصلح بينهم. لقد كان الحكيم أجمل خان، والدكتور أنصاري، والمولوي محمد علي والمولوي أبو الكلام آزاد ممن عمل على عقد هذا المؤتمر من جانب المسلمين، أما من طرف الهندوس فقد شارك شردهانند وغيره من كبار زعمائهم. وكعادة علماء المسلمين غير الأحمديين قالوا بأنْ لا داعي لدعوة الأحمديين، ثم أخذوا يضعون شروط الصلح من عند أنفسهم. ولكن قال السيد شردهانند: إن الأحمديين أيضا يقومون ببعض الأعمال في هذه المنطقة فيجب توجيه الدعوة إليهم أيضا من أجل الحضور في هذا المؤتمر، فوصلتني برقية من الحكيم أجمل خان، والدكتور أنصاري، والمولوي أبو الكلام لأرسل بعض المندوبين من قبل الجماعة، فأرسلتهم وقلت لهم: لا بد أن يُثار سؤال عن أهل منطقة "ملكانه" وسيُطرح أن يتراجع الهندوس والمسلمون إلى أماكنهم ويهدأوا، ولكن الهندوس قد نجحوا في جعل عشرين ألفا من أهالي "ملكانه" يرتدّون، فيجب أن تقولوا عند هذا الطرح: سنوافقكم الرأي على التصالح وفق هذا الشرط ونعود من هذه المنطقة ولكن بعد أن يتاح لنا أن نُقرئ عشرين ألفًا من المرتدين كلمة الشهادة ونعيدهم إلى حظيرة الإسلام، ولن نبرح تلك المنطقة ما بقي فيها واحد من هؤلاء المرتدين. فلما وصل مندوبونا إلى هذا المؤتمر طُرح عليهم هذا الطرح نفسه

فأجابوا بما قلت لهم، فردّ المشايخ قائلين: اتركوا الأحمديين فلا يمثلون قوة ولا وزنًا ودعونا نعقد الصلح معكم، فقال السيد شردهانند أمامهم: نتصالح معكم ولا نبالي حتى لو بقي خمسون من رجالكم في تلك المنطقة، ولكن لا يسعنا عقد الصلح إذا بقي فيها واحد من الأحمديين، فأخرِجوا الأحمديين من هذه المنطقة أولا ثم يمكنكم التقدم في مجال الصلح.

فباختصار، لم يدخل هؤلاء الأحمدية، ومع ذلك يدركون أهمية أعمال الجماعة الإسلامية الأحمدية بل أصبح أعداء الإسلام أيضا يعترفون بها. لقد أُلقيتْ في كالكوتا مؤخرًا خطابات الدكتور زويمر الذي يدّعي أنه أكثر المسيحيين علمًا بالإسلام، وهو من يصدر مجلة من مصر باسم "مسلم ورلد (العالم الإسلامي)"، فلما زار الهند في المرة الماضية جاء إلى قاديان أيضا. وبعد زيارته لها ولما توجه إلى المدن الهندية الأخرى نَشر إعلانا أن الدكتور زويمر الذي زار قاديان سيلقي محاضرةً. وقبل فترة توجه هذا الدكتور إلى كالكوتا وألقى فيها كلمته، فأراد البروفيسور المولوي عبد القادر م. أ. — وهو أخ لإحدى زوجاتي — أن يطرح عليه بعض الأسئلة. فسُئل هل أنت أحمدي؟ فردّ بنعم، فقال له: لا أناظر الأحمديين. لقد تنصّر كثير من المسلمين في مصر بسبب محاولات هذا الدكتور، وقد اتفق أن قابل أحدَ هؤلاء المتنصرين عبدُ الرحمن المصري — الذي كان في مصر في تلك الأيام — فأفهمه بعض

الأدلة من وجهة نظر الأحمدية، فرجع إلى القس زويمر وتحدث إليه وقال: ليس المسيح حيًّا بل مات وفق ما يقوله القرآن الكريم. فسأل القس فورًا: هل قابلت أحد الأحمديين؟ أجاب هذا المصري نعم، فاضطرب القس ورفض التكلم معه.

فباختصار، إن جماعتنا بفضل الله تعالى تحظى في العالم الديني بأهمية خارقة تذهل الناس. وكل ذلك ببركة فيوض سيدنا المسيح الموعود عليه السلام، ولا يسع أحدا إنكار هذا الإنجاز الذي حققه.

ما ذكرته إلى الآن يتعلق بالإيمانيات، والآن أنزل درجة وأعدد لكم الأعمال الفكرية التي قام بها المسيح الموعود عليه السلام.

الإنجاز الثالث

للمسيح الموعود عليه السلام

الإنجاز الثالث العظيم من إنجازات المسيح الموعود عليه السلام هو أنه قام بإصلاح الفساد الحاصل في أفكار الناس عن الذات الإلهية وصفاته العليا. إن الذات الإلهية في عالم الأديان لهي الذات العليا والعظيمة على الإطلاق. إلا أنه قد حصل فساد عظيم في أفكار المسلمين وفي أتباع الديانات الأخرى تجاه هذه الذات الإلهية العظيمة، ونسبت إليه عز وجل أمور مخالفة للعقل لدرجةٍ جعلت من المحال أن ينتبه أحد إلى تنـــزيه الله تعالى. لقد أصلح المسيح الموعود عليه السلام هذا الفساد. كانت الأفكار الفاسدة التالية منتشرة عن الله تعالى:

١- كان الناس واقعين في الشرك الجلي والخفي.

٢- كان البعض يعتقدون بأنه لو كان الله تعالى موجودًا فوجوده لا يعدو كونه علّة العلل، إذ كانوا ينكرون قوته الإرادية ظانين أن أعماله وأموره تصدر منه بشكل آلي كالآلة، وليس الله تعالى إلا علّة من آلاف العلل وإن كان العلة الأخيرة والعظيمة منها، ومع كل ذلك فإن أعماله وأفعاله تصدر منه بنوع من الاضطرار تلقائيًا دون خضوعها

لإرادته. لقد وقع بعض المسلمين أيضا من عشاق الفلسفة الجديدة تحت تأثير هذا الفكر الخاطئ.

٣- كان البعض – ومنهم بعض المسلمين أيضا – قد وقعوا في خطأ إذ يظنون أن الكون قد وُجد صدفة وهو موجود منذ القدم وعلاقة الله تعالى بهذا الكون لا تعدو على أنه قام بتجميعه وترتيبه.

٤- كان البعض ينكرون رحمة الله ويقولون بأنه لم يعد يتحلى بصفة الرحمة، لأن ذلك يتعارض مع عدله.

٥- صار البعض لا يقدِّرون قدرات الله تعالى وصفاته حق قدرها، فمع أنهم كانوا يؤمنون بأن عمر هذه الدنيا آلاف مؤلفة من السنوات إلا أنهم كانوا يحصرون ظهور صفات الله تعالى في بضعة آلاف سنة، وكانوا يظنون أنها لم تظهر إلا في هذه المرحلة القصيرة.

٦- بعضهم كانوا يلجأون إلى طرق بالغة الخطل لإثبات قدرات الله تعالى، فأصبحوا يقولون: إن الله تعالى يستطيع أن يكذب ويسرق، لأنهم كانوا يرون أن قدراته تظلّ ناقصة إذا قيل إنه لا يقدر على شيء منها.

٧- كان البعض يعتقدون بأن الله صار عاطلا عن الأعمال بعد إصداره قانون القضاء والقدر، لذلك كانوا يرون أنه لا طائل من الدعاء، إذ ما دام قد صدر قانون الله تعالى فلن يحدث إلا ما كتبه وبالتالي لا يجدي الدعاء نفعًا، ولا يمكنه أن يغيّر شيئًا.

٨- كان الناس يجهلون كيفية تجلّي جميع صفات الله تعالى في وقت واحد، ولذلك تحوَّل هذا الأمر إلى قضية معقدة لا تنحلّ. كان صعبًا عليهم فهم هذا الأمر: أن يكون الله تعالى وهابًا مع كونه شديد العقاب في آن واحد. كانوا في حيرة من أمرهم إذ يرون أنه لا يمكن أن يقال عن إنسان إنه سخي وجوّاد وبخيل أيضا في آن واحد، فكيف يمكن أن يقال عن الله تعالى بأنه القهار والرحيم في آن واحد؟ فورود صفات الله تعالى في القرآن الكريم مع توهم تعارضها الظاهري يجعلهم يحتارون في أمرها.

٩- وقد وقع بعضهم في ظن فاسد أنَّ كل شيء هو الله، كما أن بعضهم كان يتوهم أن هناك عرشًا ماديًّا يحكم الله تعالى الكون متربعًا عليه.

١٠- لم يعُد الناس ينتبهون إلى عظمة الله تعالى ولا يرجون له وقارًا؛ إذ لو ظل مكانٌ أو بيت ما فارغًا وخربًا لقالوا عنه: لم يبق فيه إلا الله. وإذا أفلس أحد وصار صفر اليدين فكانوا يقولون: لم يبق لديه شيء سوى الله. وهذا يعني أن الله تعالى ليس إلا اسمًا للفراغ. لقد فُقدت بل تلاشت فيهم الرغبة للفوز بحب الله ولقائه. لقد نشأت لدى الناس الرغبة في لقاء الجن والأشباح والعكوف على أعمال الشعوذة من أجل إيقاع الحب أو البغض (الصرف والعطف) إلا أنهم لم يعودوا يشعرون برغبة لقاء الله تعالى والشوق إليه.

ظهر المسيح الموعود عليه السلام في وقت طوفان هذه التخرصات، ونزّه الدين من جميع هذه الشوائب والأخطاء.

١- **الخطأ الأول** الذي سأتناوله هو حالة الشرك السائدة آنئذ، فقد ردّ كل صور الشرك ردًّا كاملا وأظهر توحيد الله تعالى بكل جلاله. لقد كان المسلمون قبل بعثته يعتقدون أن الشرك على ثلاثة أنواع:

١- عبادة الأصنام والملائكة وبعض الأشياء المعينة. ولكن مع ذلك كان العلماء منهم يسجدون للقبور ناهيك عن عامة الناس، حتى رأيتُ بأم عيني أحد العلماء يسجد لقبر في مدينة "لكهناؤ".

٢- مع أنهم كانوا يرون أن نسبة صفات الله تعالى إلى غيره من الشرك إلا أن ذلك كان مجرد قولهم بأفواههم، أما من الناحية العملية فكان أكبر الوهابيين المدعين التوحيد ينسبون إلى المسيح الناصري عليه السلام صفات لا تناسب إلا الله تعالى. مثلاً كانوا يقولون إنه جالس في السماء منذ مئات السنين، لا يأكل ولا يشرب ولا يطرأ عليه أي تغير، كما يعتقدون أنه أحيا بعض الأموات من الناس وخلق بعض الطيور أيضا.

٣- كان العلماء والشيوخ الكبار يؤمنون بأن الاتكال على غير الله أيضا من الشرك، والاتكال يعني الاعتقاد بأن إفادة شيء من الأشياء ذاتيةٌ وليست مودعة فيه من الله.. مثلا إذا ظن أحد أن دواءً معينًا يمكن أن يزيل الحمّى فهذا شرك، بل يجب أن يقال إن هذا الدواء سيفيد بفضل التأثير المودع فيه من الله تعالى، فمن الشرك رجاء الاستفادة من

شيء لا يتراءى فيه تجلي الله تعالى. وكان هذا تعريفًا جيدًا، ولكن المسيح الموعود عليه السلام قدم تعريفًا أفضل منه يندر له نظير خلال الثلاثة عشر قرنًا الماضية.. لقد تناول عليه السلام موضوع التوحيد في العديد من كتبه، وملخصه أن للتوحيد الكامل درجة أعلى مما ذكره الناس. لقد ذكر العلماء السابقون الدرجة الأخيرة للتوحيد أن تتراءى يد قدرة الله تعالى على أنها هي العامل الأساس في كل شيء. ومع أن هذا تعريف صحيح ولكنه في النهاية رأي من الناس ليس إلا، ولا يمكن أن يكون كاملا، بل التوحيد الكامل الحقيقي هو ما يتجلى من الله تعالى وبواسطته يمحو الله تعالى وجود كل ما سواه، وهذا التوحيد مذكور في القرآن الكريم وهو ما قدمه جميع الأنبياء، وهو ما قدمه المسيح الموعود عليه السلام أيضا، وخلاصته أن يتقرب العبد إلى الله تعالى لدرجة لا يحتاج فيها إلى التفكير في وحدانيته بل يجليها الله تعالى عليه بنفسه ويريه يد قدرته في كل شيء، ويتحول له كل شيء إلى مرآة صافية عاكسة نقية. فلو محا أحد نفسه التي تحول دون رؤيته الأشياء لرآها واضحة جلية عن بعد، وكذلك تصبح أشياء الدنيا كلها كالمرآة الصافية للإنسان فلا يرى الله تعالى فيها من خلال خياله، بل يتراءى له الله تعالى في كل شيء من خلال قيامه تعالى بإظهار صفاته له.

يقول المسيح الموعود عليه السلام: إن مجرد الاعتقاد بأن يد الله تعالى هي العامل الرئيس في كل شيء ليس بتوحيد كامل، بل التوحيد الكامل هو

أن يُري الله تعالى بنفسه يد قدرته وصفاته في كل شيء، فلو حصل له ذلك تجلى الله تعالى له في كل شيء حقيقةً دون أن يكون مجرد ظن يظنه أو يفكر فيه.

هذا هو التوحيد الذي لا يتعلق بتصور يصدر من الإنسان، بل هو ما يحيط بجميع أعماله، بل هو يحيط بحياة المسلم بجميع جوانبها الأخلاقية والحضارية والسياسية والاجتماعية وغيرها. فكلما تناول الطعام وجد الله تعالى يتجلى له في مأكله ويُظهر عليه حدود الحاجة إلى الطعام ويظهر جلاله أيضا، ويحدث الأمر نفسه عند شربه الماء ولقائه الأصدقاء. باختصار، يكون الله تعالى معه في كل عمل يقوم به ويُظهر له قدرتَه.

هذه هي درجة التوحيد الكامل، ومن أحرزها فلا يمكن أن ينشأ لديه أي نوع من الشبهة بعدها. والإيمان بمثل هذا التوحيد هو مدار النجاة، ولقد أشير إليه في الآية القرآنية التالية: ﴿الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَى جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَاطِلاً سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ﴾ (آل عمران: ١٩٢) أي أن الذين يذكرون الله تعالى ويفكرون قيامًا وقعودًا وعلى جنوبهم في خلق السماوات والأرض فإن الله تعالى يتجلى أمامهم فيهتفون قائلين: ﴿رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَاطِلاً سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ﴾.. أي ربنا لم تخلق هذه الأشياء باطلا لأننا بواسطتها قد توصلنا إليك. سبحانك فقنا عذاب

النار؛ أي ندعوك ألا نحيد قيد أنملة عن هذا المقام الذي وصلنا إليه فتحرقنا نار البَين والهجران.

والآن قبل أن أتطرق إلى ما قام به المسيح الموعود عليه السلام من تصحيح الأخطاء الأخرى المنتشرة بين الناس عن الله تعالى، أريد أن أخبركم أنه عليه السلام قدّم أصلا محكمًا للرد على هذه الأخطاء وهو يكفل إزالتها والرد عليها وهو: إن الله ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾(الشورى: ١٢)، مما يعني أننا لا نستطيع أن نتكلم عنه عز وجل شيئًا قياسًا على مخلوقه، بل يجب أن يكون كلامنا عنه مبنيًا على جميع صفاته تعالى، وإلا فلا بد أن نتعرض للأخطاء. فيجب أن نراعي دومًا هل يتطابق اعتقادنا بالله تعالى مع صفاته الأخرى أم لا؟ وإلا كنا على الخطأ؛ لأنه لا تعارض بين صفات الله تعالى.

فبهذا الأصل أزال المسيح الموعود عليه السلام الأخطاء التي وقع فيها المسلمون، كما كشف به عن أخطاء الأديان الأخرى.

لقد ذكرت تصحيح المسيح الموعود عليه السلام لبعض الأخطاء التي وقع فيها الناس بخصوص اعتقادهم بوحدانية الله تعالى، أما الأخطاء الأخرى فقد قام بإصلاحها من خلال الأصل المذكور آنفا.

٢- والخطأ الثاني الذي وقع فيه أتباع الديانات الأخرى أنهم كانوا يعدّون الله تعالى علة العلل، أي كانوا ينكرون قوته الإرادية، ولقد صحّح المسيح الموعود عليه السلام هذا الخطأ من خلال صفتي الله الحكيم

والقدير اللتين يؤمن بها أتباع الديانات الأخرى أيضا. والبديهي أنه إذا كان الله تعالى هو الحكيم والقدير فهو الخالق المتسم بالإرادة، ولا يمكن أن يوصف أنه مجرد علة العلل، إذ لا يمكن لعاقل أن يصف أيةَ آلةٍ بالحكيم. لا يمكن لأي خياط أن يقول إن آلة الخياطة من ماركة "سنجر" حكيمة جدًّا؛ وذلك لأن الحكيم يعمل بإرادة.

ثم إن الله تعالى قدير، والقدير في اللغة العربية هو من يقدّر كل شيء تقديرًا ويحدد القوى والأسباب المناسبة والملائمة لكل شيء؛ وعلى سبيل المثال يحدد القوانين التي تحكم في الصيف والأخرى التي في الشتاء، ويحدد لكل حيوان الحد الأقصى من عمره، وهو تقدير لا يسع ذاتًا بلا إرادة القيام به. فإن صفتي الله الحكيم والقدير تُثبتان إرادته فلا يمكن وصفه بعلة العلل بعد الإيمان بأنه الحكيم والقدير.

٣- والخطأ الثالث الذي وقع فيه بعض الناس هو ظنهم أن الكون وُجِد صُدفةً ولا دخل لله تعالى في إيجاده، ويعني ذلك أن الله تعالى ليس بخالق للروح والمادة. ولقد ردّ المسيح الموعود عليه السلام على هذه الفكرة من خلال صفتي الله المالكية والرحيمية، وقال إنهما صفتان أساسيتان من صفات الله تعالى.. فلو لم يخلق الله تعالى هذا الكون فلا يحق له أن يدعي أنه مالك له.. فلا يسعكم أن تعدّوه مالك هذا العالم ما لم تؤمنوا به خالقه أيضا.

أما الصفة الثانية فهي الرحيمية. والرحيم هو من يجزي على أعمال الإنسان أحسن جزاء. والسؤال المطروح الآن هو: لو لم يكن الله تعالى خالق أي شيء فمن أين له هذا الجزاء الذي سيجازي به الناس وفق صفته هذه؟ هناك مثل مشهور في لغتنا (الأردية) ومعناه: "قراءة الفاتحة على روح الجد عند محل الحلويات". وفي مناسبة هذا المثل يُحكى أن شخصًا يريد أن يدعو المشايخ لقراءة الفاتحة لإيصال الثواب لروح جده المرحوم، إلا أنه كان بخيلا لا يريد إنفاق شيء، في حين أن الشيخ لا يأتي لقراءة الفاتحة دون أملٍ بشيءٍ يأخذُه لقاء قراءته، فوصل بعد تفكيره إلى هذه الطريقة بحيث أخذ المشايخ معه ووصل إلى محل الحلويات وطلب منهم قراءة الفاتحة، ففعلوا ظنًّا منهم أنه سيوزع عليهم الحلويات بعدها، إلا أنه غادر بكل صمت بعد قراءتهم الفاتحة. هذه هي حال الله تعالى عند هؤلاء الناس، فلو لم يكن خالقًا لأي شيء فمن أين سيأتي بالجزاء الذي يهبهم إياه على أعمالهم؟ إن الآريا أيضا يؤمنون بأن الله تعالى يجزي وإن كانوا يحصرون جزاءه في نطاق ضيق جدًّا، ولكن الله تعالى لا يمكن أن يجزي على عمل من الأعمال ما لم يكن خالقًا، لأن فاقد الشيء لا يعطيه.

٤- **والخطأ الرابع** أن بعض الناس ينكر صفة رحيمية الله تعالى فردّ عليهم المسيح الموعود عليه السلام من خلال صفته الرحمانية والمالكية. فمثلاً تتأسس المسيحية على أن الله تعالى لا يستطيع أن يعفو عن الذنوب لأنه

عادل، وبالتالي فهو بحاجة إلى الكفارة من أجل العفو عن ذنوب الناس، وبهذا يستقيم عندهم رحمته وعدله كلاهما. ولقد قال المسيح الموعود عليه السلام لا شك أن الله تعالى عدلٌ، إلا أن العدل المجرد ليس واجبا عليه لأن وجوبه يناقض صفة المالكية. أما المالك فيتصف بالرحمة، ولكن لو ظهرت رحمة المالك بقدر العمل فيمكن أن يسمى ذلك عدلاً. فبما أن الله تعالى هو المالك والرحمن أيضا لذلك فلا يمكن قياسه على الأشياء الأخرى. اعلموا أن الله تعالى قد أعطى الإنسان الأذن والأنف والعين من دون أن يكون له عمل يستحق مثل هذا الجزاء. فهل يسع أحدًا القول بأن هذا مخالف لعدله؟ فإذا كان الله تعالى يستطيع أن يهب الإنسان كل هذه النعم دونما استحقاق فلماذا لا يقدر على العفو عن ذنوبه؟! كذلك هو المالك أيضا؛ فإذا عفا عن أحد بكونه مالكًا فلا يتناقض ذلك مع عدله. لا يحق للقاضي العفو عن جريمة المجرم لأنه لم يُعط حق الفصل في القضايا إلا من قِبل الناس ولا سلطة لأحد في استخدام حقوق الآخرين في العفو وغيره، أما حق الله تعالى في العفو عن الناس فهو حقه الذاتي النابع من صفته المالكية والخالقية و لم يُعهد إليه من قبل الآخرين، لذلك فلا اعتراض على عفوه، ولا يتعارض عفوه مع عدله.

٥- والخطأ الخامس أن بعض الناس يحدد صفة خالقية الله تعالى إلى زمن معين، فقد ردّ عليهم المسيح الموعود عليه السلام من خلال صفة الله

القيوم، فقال: إن صفات الله تعالى تقتضي الدوام دونما انقطاع وتعطّل. والقيوم هو من يقيم ويحافظ، وهذه الصفة تحيط بكل الصفات. لقد أكد المسيح الموعود عليه السلام على استحالة حدوث انقطاع في صفات الله تعالى. إن نظريته التي ذكرها والأصل الذي قدمه مختلف عما يقدمه العالم كله، لأن البعض يقول: خلق الله العالم منذ فترة زمنية محددة، وكأن الله تعالى كان عاطلاً قبل هذا! والبعض الآخر يقول إن العالم أزلي أبدي كذات الله تعالى. لقد خطّأ المسيح الموعود عليه السلام كلتا المقولتين وقال بأنه من الخطأ القول بأن صفةً من صفات الله كانت عاطلة في زمن من الأزمان لأنه يخالف صفة الله القيوم؛ كما أن القول بأن العالم قديم قِدمَ الله تعالى أيضا ينافي صفاته تعالى. لعل البعض يقول كيف يمكن أن يكون كلا الأمرين خطأ، ولا بد أن يكون أحدهما صحيحًا. ولكن ظنهم مبني على قياس الأمور على الأشياء المادية. والحقيقة أن بعض الأمور تفوق إدراك العقل الإنساني بحيث لا يمكن أن يدرك كنهها. ولما كان خلق هذا الكون قد سبق خلق الناس والجمادات بل الذرات أيضا لذلك فلا يسع العقل الإنساني فهم كنهه. فيمكنكم فحص النظريتين المقدمتين وسيظهر لكم خطؤهما بالبداهة لأن من يقول أن الكون قديمٌ قِدَمَ الله تعالى يحسب الكون أزليًا أبديًا مثل الله تعالى، ومن يقول بخلق الكون منذ ملايين أو بلايين السنين فكأنه يقول بأن الله تعالى ظل عاطلاً منذ الأزل و لم يكن خالقًا إلا منذ بضعة ملايين أو بلايين السنين، وبدهيٌ أن كِلا القولين

خطأ. فالصحيح أن الإنسان لم يستطع إدراك حقيقة هذا الأمر جيدًا، والحقيقة كامنة بين هذين الادعائَين. وهذه القضية أيضا محيرة للعقول كقضية الزمان والمكان لأن عدّهما محدودَين أو غير محدودين غير مدرَك عقلا. ولقد بتّ المسيح الموعود عليه السلام في هذه القضية قائلا إن صفة خالقية الله تعالى لم تتعطل قط وليس الكون قديمًا قدم الله تعالى بل الحق موجود بين هذين الأمرين. وشرح عليه السلام هذا الأمر أن المخلوق يحظى بقِدَمٍ نوعي، أما الله تعالى فيحظى بقِدَمٍ ذاتي ولا يتمتع به أي شيء غيره سواء كانت الذرات أو الأرواح أو غيرها، والحقيقة هي أن الله تعالى ظل يُظهر صفة خالقيته منذ الأزل. علمًا أن المسيح الموعود عليه السلام لم يأخذ بمفهوم الناس للقِدَم النوعي وهو أن المخلوق موجود منذ وجود الله تعالى، لأنه عقيدة فاسدة و لم يؤمن بها المسيح الموعود عليه السلام قط.

يمكن أن يكون لمقولة "المخلوق موجود منذ وجود الله تعالى" معنيان اثنان إلا أن كليهما باطل، أحدهما: أن الله تعالى موجود منذ زمن محدد والمخلوق كذلك. لأن "منذ" تشير إلى وقت محدد مهما طال، ومثل هذا الاعتقاد باطل وفاسد. وثانيهما: يعني أن المخلوق أزليٌّ أبديٌّ كذات الله تعالى، وهذا المعنى أيضا منافٍ للتعاليم الإسلامية كما يخالف العقل أيضا، إذ لا يمكن أن يكون الخالق والمخلوق أزليَين وأبديَين بمعنى واحد، لأنه لا بد أن يتقدم الخالق ويتأخر وجود المخلوق. ولأجل ذلك لم يكتب المسيح الموعود عليه السلام قط أن المخلوق أيضا أزليٌّ أبديٌّ بل قال إن

المخلوق يحظى بقِدَم نوعي. والبديهي أن هناك فرقًا بين القِدَم والأزلية. باختصار، إن المخلوق عند المسيح الموعود عليه السلام يحظى بالقِدَم النوعي (طول الفترة الزمنية) ولا يحظى بالأزلية، لأن الخالق مقدّم على المخلوق، وعصر الأحدية يسبق عصر الخلق، ولا شك أنه يصعب على العقل الإنساني إدراك كنه هذه العلاقة - بين الخالق والمخلوق - التي يحظى فيها الخالق بالأزلية، ويتميز فيها عصر الأحدية بالتقدّم على المخلوق، ويمتاز المخلوقُ بالقِدَم النوعي. ولا يليق بالعظمة الإلهية إلا هذا المعتقد، أما ما سواه فإما أنه يؤدي إلى نشوء الشرك أو يفرض على صفات الله تعالى قيودًا لا تُقبل بحال. ولا شك أن ما يتطابق مع صفات الله تعالى من المعتقدات فهو صحيح وما يخالفها فهو خاطئ. إضافة إلى ذلك يجب الأخذ بعين الاعتبار أن الله تعالى ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾، فمحاولة فهم كنه أفعاله قياسًا على أفعال الإنسان أمر بعيد عن العقل. فما دامت قضية خلق الكون تتعلق بأمور لا يملك العقل الإنساني إدراكها كليًّا فالطريق الأمثل والصحيح في هذه الحالة هو أن نحلّها من خلال الصفات الإلهية بدلا من القواعد المادية وذلك حتى يُحفظ الإنسان من إمكانية الوقوع في الخطأ، وهذا هو الطريق الذي تبناه المسيح الموعود عليه السلام.

أرى أن المفهوم الخاطئ والسائد في العالم للزمن هو أيضا يمثّل سدًّا أمام استيعاب هذه القضية. وليس بعيدًا أن تتطور "النظرية النسبية الخاصة" لأينشتاين[5] فتجعل هذه القضية أقرب إلى أفهام الناس.

كتب المسيح الموعود عليه السلام أن عصر الأحدية مقدَّم على المخلوقية، وإن ذلك لا يخالف ما بينّاه سابقًا لأنه عليه السلام يخبرنا عن عصر أحديةٍ آخر أيضا في المستقبل، إلا أنه إلى جانب ذلك يسلّم بعطاء غير مجذوذ للأرواح ويرد على عقيدة الآريا بإخراج الأرواح من دار النجاة بعد ملايين السنين، فثبت أن ظهور عصر الأحدية الآخر وسلامة الأرواح من التعرض للفناء لا ينافي مفهوم عصر الأحدية عنده عليه السلام. إن حالة

---

[5] أينشتاين (١٨٧٩م-١٩٥٥م) عالم في الفيزياء النظرية، ألماني المولد وأمريكي الجنسية لاحقًا. أكمل دراسته في ألمانيا ثم عمل في وظيفة فاحص (مُختبِر) في مكتب تسجيل براءات الاختراعات السويسري من عام ١٩٠٢م إلى ١٩٠٩م. قدّم في عام ١٩٠٥م أبحاثًا علمية في تفسير الظاهرة الكهروضوئية وفي تكافؤ المادة والطاقة وميكانيكا الكم وغيرها. وفي عام ١٩٠٥م أيضا قدّم النظرية النسبية الشهيرة التي أدّت في النهاية إلى اكتشاف الطاقة النووية. وفي عام ١٩١١م قدم نظرية المجال الموحد. وفي عام ١٩١٣م عُيّن أستاذا للفيزياء النظرية في جامعة برلين. حصل أينشتاين في العام ١٩٢١ على جائزة نوبل لاكتشافه قانون الظاهرة الكهروضوئية. قام أينشتاين في عام ١٩٣٩ بعرض فكرة صنع قنبلة نووية على الرئيس فرانكلين روزفلت، رئيس الولايات المتحدة الأمريكية. كان شغوفًا بالموسيقى أيضا. (الناشر)

المرء بعد موته هي عصر الأحدية أيضا لأن عمل الإنسان ينقطع عندها ولا يبقى لإرادته أثر يذكر إذ إنه يصبح بعد الموت مثل الآلة التي تتحرك وفق مشيئة الله وإرادته. تنتهي دار العمل التي يعمل فيها الإنسان إراديا في هذه الدنيا، وهذه الحالة عند المخلوق تنافي عصر الأحدية.

٦- الخطأ السادس: كانت هناك نقاشات وسوء فهم لمفهوم القدرة الإلهية قبل بعثة المسيح الموعود عليه السلام؛ فبعضهم كان يقول: لمّا كان الله تعالى على كل شيء قدير فيمكن أن يكذب أو أن يفنى، بينما يقول الآخر: إن صفاته هِيَ هِيَ كما بينها الله تعالى وليس من بينها الكذب فهو ليس بقادر عليها. ولقد بتّ المسيح الموعود عليه السلام في هذا النـــزاع أيضا وقال: يجب أن تتدبروا في صفة الله القدير بعد وضعها أمام الصفات الأخرى. فإذا كان الله تعالى قديرًا فهو الكامل أيضا، والفناء ضد الكمال. فلو قال أحد: إنني بطل عظيم وقوي، فهل يجوز أن يقال له: لا نسلّم بقوتك ما لم تأكل السمّ وتموت؟ لا يدل ذلك على القوة بل على عكسِها. فلا يعني كمال الله تعالى أن به عيبًا وضعفًا. الحقيقة أنهم لم يفهموا معنى قدرة الله تعالى، فهل يمكن أن يقال لمن يدعي القوة: إذا كنت قويًا فلتأكل القذارة؟ لا يدل ذلك على القوة بل هو ضعف، ولا يمكن أن يطرأ أي ضعف على ذات الله تعالى لأنها تتسم بالكمال.

٧- والخطأ السابع أن بعضًا من الناس يعتقد بأن الله تعالى قد تفرّغ بعد إصداره قانون قضائه وقدره فلا يستطيع الآن أن يسمع أي دعاء.

فلقد قال المسيح الموعود عليه السلام لأصحاب هذا الفكر: لقد أجرى الله تعالى قضاءه وقدره، ومن هذا القضاء أيضا أنه يستجيب دعاء العباد عندما يدعونه.

يا له من ردّ قصير وشاف حيث قال عليه السلام بأنه لا شك أن الله تعالى قدّر وقرّر أن مَن لا يلتزم بالحِمية يمرض، ولكنه قرّر أيضا أن من يتضرّع ويبتهل إليه فإنه يكشف السوءَ عنه ويمنّ عليه بالصحة. فلا يزال الله يعمل ويتصرف على الدوام رابطا قضاءه بالدعاء.

وبالإضافة إلى هذا الرد فقد قدم المسيح الموعود عليه السلام براهين عملية محسوسة على إثبات استجابة الدعاء.

٨- **الخطأ الثامن:** كان هناك اختلاف في تجلّي صفات الله تعالى المختلفة معًا في وقت واحد، فقد أزال المسيح الموعود عليه السلام هذا الاختلاف وقال إن لكل صفة من صفات الله نطاقا معينا، فإنه تعالى رحيم وشديد العقاب في وقت واحد. فمن عوقب بالإعدام فإنما عوقب وفق صفة الله شديد العقاب لأنه مجرم، ولكن تجلّيات الله الأخرى ظلت تظهر له حتى آخر لحظة من حياته. أما الناس فلا يمكن أن تكون حالتهم على هذا النحو بحيث تظهر جميع صفاتهم في وقت واحد، إذ لا يمكن للإنسان أن يرحم ويُظهر غضبه بكل شدة في الوقت نفسه. ولكن لما كان الله تعالى كاملا فيمكن أن تتجلى جميع صفاته بكل قوة في وقت واحد، فلو لم يحدث ذلك لتعرض العالم للهلاك والدمار. فلو لم تنزل

رحمة الله تعالى عند حلول غضبه لهلك العالم، كذلك لو نزلت الرحمة وانقطع نزول غضبه لفلت المجرمون من العقاب، وهكذا تعم الفوضى والدمار. باختصار، تعمل جميع صفات الله تعالى عملها في جميع الأوقات والأزمان ضمن نطاقها المعين.

٩- والخطأ التاسع هو عقيدة خاطئة عن الله تعالى كانت آخذة في الانتشار قبل بعثة المسيح الموعود عليه السلام؛ وهي ظن بعض الناس بوحدة الوجود، أي أن الله والطبيعة وكل شيء عبارة عن وجودٍ واحد. ولقد رُدّ على هذه العقيدة أيضا من خلال الأصل الذي قدمه عليه السلام، وهو أن المالكية صفة من صفات الله تعالى، فلا يمكن أن يكون الله تعالى مالكًا ما لم تكن ثمة مخلوقات أخرى.

وكان البعض يؤمنون بأن الله جالس على العرش، ورُدَّ عليهم أيضا من خلال الأصل الذي قدمه عليه السلام، وهو أن صفات الله تعالى تخبرنا أنه ليس بمحدود، وقال عليه السلام عن العرش والكرسي وغيرهما من الكلمات أنها ليست أشياء مادية، وليس العرش ماديا مخلوقا من الذهب أو الفضة يجلس عليه الله تعالى، بل المراد منه صفاته المتعلقة بالحُكم التي يمكن القول عند ظهورها وكأن الله قد استوى على العرش.

١٠- والخطأ العاشر هو الإهمال في تعظيم الله وتوقيره، والإنجاز الذي قام به المسيح الموعود عليه السلام هو أنه وجه الناس إلى الله ونفخ فيهم محبة صادقة له سبحانه وتعالى، وجعل من مئات الألوف من الناس

مقربين إليه سبحانه، كما أن الذين لم يؤمنوا به أيضا بدأوا ينتبهون إلى الله تعالى بشكل غير معهود مقارنة بما كان قبل بعثته.

لقد ذكرتُ هذه الأمور مثالا على ما قام به المسيح الموعود عليه السلام من تصحيح أخطاء عن ذات الله تعالى، وإلا فكان هناك سوء فهم وأخطاء أخرى كثيرة صححها عليه السلام تفصيلا وإجمالا.

الإنجاز الرابع

للمسيح الموعود عليه السلام

الإنجاز الرابع الذي قام به المسيح الموعود عليه السلام هو أنه أظهر حقيقة كلام الله تعالى وصحح الأفكار الخاطئة المنتشرة بين الناس.

أولاً: الوحي: كانت هناك أفكار خطيرة عديدة منتشرة بين الناس، إذ كانوا يظنون:

أ- أن الوحي رحماني أو شيطاني.

ب- أنه لا يتلقى الوحي إلا الأنبياء.

ت- أن الوحي لا يمكن أن ينـــزل بكلمات معينة بل هو اكتساب العلوم من خلال نور القلب.

ث- وتعرّض البعض لوسوسة أن الوحي والرؤيا شيء تسفر عنه الكيفية الدماغية للإنسان.

ج- وبعضهم كان يظن أن الاعتقاد بالوحي اللفظي عائق في سبيل التطور الذهني والفكري للإنسان.

ح- وكان الناس عمومًا قد وقعوا في هذا الخطأ عندما ظنوا أن الوحي قد انقطع.

وهناك وساوس أخرى كثيرة كانت منتشرة بين الناس عن الوحي والإلهام، وقام المسيح الموعود عليه السلام بإصلاحها.

الخطأ الأول: إن ظن الناس بأن الإلهام إما رحماني أو شيطاني كان يُسفر عن نتائج خطيرة، لأنه إذا عدَّ الناس بعضَ المدعين صلحاء، حسبوا وحيَهم أيضًا وحيًا إلهيًا. كما أن من لم تتحقق رؤاهم أصبحوا ينكرون حقيقة الرؤيا. فلقد حلّ عليه السلام هذه القضية وأنقذ العالم من ابتلاءات كثيرة.

يتضح من كتب حضرته عليه السلام أن الإلهام على نوعين:

١) الوحي الصادق

٢) الوحي الكاذب

فالوحي الصادق - وهو ما أنبئ فيه عن واقعة صحيحة أو كُشف فيه عن حقيقة من الحقائق- أنواعه كثيرة، ومنها:

أ- الوحي الإلهي

ب- الوحي الشيطاني

ت- الوحي النفساني

لقد أضفتُ النوعين الأخيرين أيضا إلى الوحي الصادق، والسبب في ذلك أنهما يثبتان من القرآن الكريم ومن كلام المسيح الموعود عليه السلام أيضا، كما أن الواقع شاهد على إمكانية تحقق الوحي الشيطاني

والنفساني أيضا، فلو تحقق مثل هذا الوحي أقررنا بتحققه ولكن لا يمكن أن نعدَّه وحيًا إلهيًا.

ولقد ذكر المسيح الموعود عليه السلام أنواعًا كثيرة للوحي الإلهي، منها:

١- وحي الأنبياء؛ وهو ما يُعرَف بالوحي اليقيني.

٢- وحي الأولياء؛ وهو وحي مصفّى ولا يكون باطلا، إلا أنه لا يسمى بالوحي اليقيني لعدم احتوائه على آيات تكون حجةً على العالم ولعدم كون إنكاره مأثمةً. ولا شك أنه وحي مصفّى ولكن لا ترافقه براهين تجعله حجة على الناس.

٣- وحي الاصطفاء؛ وهو وحي السالكين، وينــزل عليهم ليخلع عليهم حُلل الصلاح والتقى، إلا أنه ليس صافيًا كصفاء وحي الأولياء.

٤- وحي الابتلاء؛ وهو وحي السالكين والمؤمنين، وينــزل عليهم لاختبارهم وابتلائهم ولإظهار قوة عزيمتهم وثباتهم.

٥- وحي "جبيزي"؛ وهذا النوع من الوحي ذُكر في وحي تلقاه المسيح الموعود عليه السلام، وسميتُه بالوحي الجبيزي وفق كلمات الإلهام[6].

[6] الوحي المشار إليه نزل عن شخص يدعى "جراغدين جموني"، الذي بايع المسيح الموعود عليه السلام ثم ارتدّ وادّعى أنه مبعوث من الله، فرد عليه المسيح الموعود عليه السلام في كتابه "دافع البلاء" حيث قال:

وتفصيل ذلك أن المؤمن الكامل يهدف إلى الفوز بقرب الله تعالى ولكنه لا يحدّد الوسيلة الهادفة إلى الحصول على قربه عَزَّوَجَلَّ. ولكن بعض الناقصين الذين يخوضون في هذه المجاهدة يستبطنون أهواء النفس أيضًا إذ يتمنون أن يحظوا بقرب الله تعالى بطريق معين كأن يتمنوا تلقي وحي من الله، ولا تكون رغبتهم في تلقي الوحي من أجل التقرب إلى الله بل لإظهار مكانتهم كأنهم كسبوا درجة روحانية. فقد يوحي الله تعالى إليهم أحيانًا نظرًا إلى رغبتهم المتزايدة، كما لو جاء الكلب أمام أحد عند تناوله الطعام فإنه يرمي إليه أيضا قطعة من الخبز أو اللحم. إلا أن

"بينما كنت أكتب هذا الموضوع عن "جراغدين" أدركني نعاس خفيف أوحي إليّ فيه الوحي التالي: "نزل به جبيز" أي قد نزل عليه (أي جراغدين) "جبيز" لكنه حسبه إلهاما ورؤيا. إن كلمة جبيز في الأصل تطلق على الخبز الجاف الذي لا طعم له ولا حلاوة، وبالكاد يستسيغه الحلق، كما تطلق على الرجل اللئيم البخيل أيضا الذي تغلب على طبعه الخسة والدناءة والبخل. والمراد من كلمة "جبيز" هنا أحاديث النفس وأضغاث الأحلام التي لا يرافقها النور السماوي وتنطوي على آثار البخل، وهذه الأفكار وليدة المجاهدات الجافة، أو هي إلقاء الشيطان وفق الأماني، وتنزل هذه الأفكار على القلب عند تمني أحد نزول الوحي بسبب الجفاف والمواد السوداوية في النفس، ولما كانت مثل هذه الأفكار خالية من أية روحانية فقد أطلق عليها في المصطلح "جبيز" وعلاجه التوبة والاستغفار والتخلي التام عن هذه الأفكار، وإلا يُخشى أن تؤدي كثرة الجبيز إلى الجنون. حمى الله الجميعَ من هذا البلاء.(آمين)". (دافع البلاء، الخزائن الروحانية، ج ١٨، ص ٢٤٣، الهامش). (المترجم)

مثل هذا الوحي في الحقيقة ابتلاء شديد لصاحبه ويؤدي عمومًا إلى عثاره. والجبيز هو الخبز الجاف، وبهذا المعنى سميتُ هذا النوع من الوحي بالوحي الجبيزي.

٦- والنوع السادس هو الوحي الإرشادي، أي الوحي الذي يرشد صاحبه إلى الهداية، وهو ما يتلقاه غير المؤمن بناء على فطرته السليمة.

٧- والنوع السابع هو الوحي الطفيلي، فإنه وحي ينـــزل على الكفار والمذنبين ليس لإرشادهم بل لإتمام الحجة عليهم. سميتُه بالوحي الطفيلي لأنه بواسطته يقام برهان على صدق الأنبياء.

كانت هذه هي أنواع الوحي الإلهي.

ب- الوحي الشيطاني: قد يتحقق بعض الوحي الشيطاني أيضا كما ذكرت. يقول الله تعالى في القرآن الكريم: ﴿إِلَّا مَنْ خَطِفَ الْخَطْفَةَ فَأَتْبَعَهُ شِهَابٌ ثَاقِبٌ﴾ (الصافات: ١١)، يعني عندما تبدأ الأمور السماوية بالظهور في العالم فإن الشيطان أيضا يخطف بعضًا منها ويوصلها إلى أوليائه، ومع أن الله تعالى يهيئ أسبابًا لبطلانها إلا أنه قد تتحقق بعض أقوال الذين لهم علاقة مع الأرواح الخبيثة.. وفي هذا يقول المسيح الموعود عليه السلام أنه لو صادف أن تحققت رؤاهم أو ما شابهها، فهي تخلو من الهيبة والشوكة وتكون ناقصة ومبهمة.

ت- الوحي النفساني: أي الوحي أو الرؤيا التي يراها الإنسان أو يتخيلها نتيجة حالته الدماغية، فقد تتحقق مثل هذه الرؤى، كما يتوصل الإنسان من خلال تفكيره أحيانًا - في حالة اليقظة – إلى بعض النتائج التي قد تتحقق وفق تفكيره، كذلك قد تُطلِق حالة نومه أيضا مثل هذا التقدير والتخمين وقد يتحقق بعضه، ولكن لا يعني ذلك أنه من الله تعالى. ومثل هذه المنامات على أنواع، منها:

١- ما يتعلق بالأمور الطبعية؛ فمثلاً ما يتعلق بالأمراض.. لا تنشأ الأمراض فجأة بل تحدث تغيرات مختلفة في الجسم قبل نشوئها بساعات أو أيام أو قبل أسابيع. وقد يشعر دماغ الإنسان بهذه التغيّرات فيُظهرها أمام عينه ويتحقق وفق ما رآه الإنسان أو تخيَّله لكونه تقديرًا طبيعيًّا. وتختلف الفترات الزمنية لحدوث هذا النوع من التغيرات المَرَضية باختلاف الأمراض، على سبيل المثال؛ يقال أن فترة حضانة الفيروس الخاص بداء الكلب أو السعار عند الإنسان تمتدّ من اثني عشر يوما إلى شهرين، فقد يشعر دماغ الإنسان الذي أصيب بداء الكلب - في فترة الحضانة – بتلك الحالة التي سوف يؤول إليها أمره فيريه بعض مشاهده، فمثل هذا المنام أو الوحي قد يكون صحيحًا ولكنه وحي النفس وليس وحيًا إلهيًا.

٢- النوع الثاني لهذا الوحي هو وحي العقل، كأنْ ينام أحد مفكرًا في أمرٍ ما، إلا أن دماغه لا يزال يفكر فيه (علما أن جزءًا من

الدماغ يظل يعمل خلال النوم أيضا)، فعندما يصل في حالة النوم إلى نتيجةٍ ما يتراءى له مشهدٌ يتضمن النتائج التي توصّل إليها جزء الدماغ المتأثر بعد التفكير فيه، وقد تكون هذه الاستنتاجات صحيحة على شاكلة الاستنتاجات العقلية الأخرى. ولكن لا يمكن عدُّ هذا المنام رؤيا إلهية، مع أنها صحيحة، بل هو حديث النفس لأن مصدره هو دماغ الإنسان وليس أمرًا خاصًا من الله تعالى.

يمكن أن يُصنّفَ النوعان المذكوران في قائمة أنواع الوحي الإلهي لكونهما يوجبان هداية الإنسان وتوجيهه وفق قوانين وضعها الله تعالى، ولكنه يندرج تحت القدر العام ولا يتم ظهورهما بواسطة أمر خاص. بالإضافة إلى ذلك فهناك نوع آخر من الوحي وهو يتعلق بأهواء النفس ويمكن أن يتحقق أحيانًا رغم كونه نفسانيًا محضًا، وهو ما يسمى بأضغاث الأحلام.

٣- القسم الثالث من الوحي يتلقاه الإنسان نتيجة تشتته الذهني. ولكن حتى الخراصين يمكن أن يصيبوا، لذلك هناك إمكانية أن تتحقق صدفةً بعضُ أقوالهم النابعة عن التشتت الذهني، إلا أن مناط صحتها ليس أمر الله تعالى ولا أي قانون طبيعي بل إنها وليدة الصدفة المحضة.

والآن أذكر بعض الأمور المتعلقة بالوحي الكاذب أو الباطل، وهو أنواع أيضا، ومنها:

١- الوحي الشيطاني: الشيطان يعتمد عمومًا على التخمين والتخرص، لذلك فإنه يخطئ في معظم الأحيان، وفوق كل ذلك يكذب أيضا.

٢- حديث النفس، وله أنواع كثيرة، ومنها:

أ- الذي يراه صاحبه نتيجة الخلل في دماغه.

ب- الذي يراه صاحبه نتيجة الرغبة والتمني، كما يقال في بلادنا (الهند): القطة دائمًا تحلم باللحوم. فهناك مناسبة ظاهرة بين هذا النوع من المنام وبين المنام الجبيزي مع فرق واحد، وهو أن المنام الجبيزي هو ما يريه الله تعالى الإنسانَ تحقيقًا لرغبته، أما هذا النوع المذكور من المنام فلا يريه الله تعالى بل تخلقه النفس متأثرة برغبة الإنسان.

الخطأ الثاني: الخطأ الثاني الذي وقع فيه الناس هو ظنُّهم أن الوحي لا يترل إلا على نبيّ. كان هذا الظن خاطئًا جدًّا ومدعاةً لنشر التخلف الفكري في القوم وموجبًا لسد أبواب القرب الإلهي في وجوههم، لأن الناس – نتيجة لهذا التفكير- يرضون بتدابيرهم الإنسانية وينسون فضل الله تعالى الذي هو الطريق الأوحد لمعرفة رضاه. ولقد صحح المسيح الموعود عليه السلام هذا الظن أيضا وقال بأنه يمكن أن يتلقى الجميع الوحي والإلهام إلا أنه درجات، فالأنبياء يتلقون وحي الأنبياء والمؤمنون وحيَ المؤمنين، والكافرون وحيَ الكفار. لقد وضح المسيح الموعود عليه السلام هذه الحقيقة وهكذا قضى على هذه الفتنة التي يتعرض لها غير المؤمن أحيانا إذ

لو تلقى إلهامًا صادقًا ظنّ أنه أصبح مقربا إلى الله، فقال عليه السلام قد يتلقى مثل هؤلاء الناس أيضا وحيًا حقًّا ولكن الفرق بين وحي الأنبياء والأولياء ووحي هؤلاء الكفار أن قدرة الله تعالى ترافق وحي الأنبياء والأولياء، وهو ما يفتقده وحي الكفار.

الخطأ الثالث: الخطأ الثالث الذي وقع فيه الناس ظنُّهم أن الوحي الإلهي لا يترل بالكلمات الواضحة بل هو نور القلب. فقد صحح المسيح الموعود عليه السلام ظنّهم أيضا وهو ظن الطبيعيين والبهائيين ومعظم المسيحيين، وأصيب كثير من المسلمين المثقفين أيضا بهذا الوهم. فقد قدَّم عليه السلام أولا خبرته في هذا المجال وقال بأنه يسمع كلمات الوحي واضحة؛ وبذلك قضى على هذا الظن الفاسد أن الوحي لا ينــزل بكلمات واضحة.

والردّ الثاني الذي قدّمه عليه السلام هو أن الوحي والرؤيا من فطرة الإنسان لأن الجميع يتمنون لقاء الله تعالى، فلا بد أن يلقوا ردًّا على رغبتهم الفطرية هذه. ولا يمكن أن تمثل الخواطر القلبية ردًّا على هذا الحب المفرط الذي أُودِع قلب الإنسان للقائه بالله تعالى، بل يكون الوحي والرؤى ردًّا مناسبًا على هذا الحب المفرط. كما قال عليه السلام بأن الوحي والرؤى لا يقتصران على الأنبياء بل معظم الناس ينالون حظًّا منهما لدرجة أن مرتكبي الفواحش والسيئات الذين يمتهنون العهر والدعارة أيضا ينالون نصيبًا منهما في بعض الأحيان. فكيف يمكن إنكار هذا

الأمر الذي يشهد عليه معظم الناس. وكيف يمكن القول - عن شيء يناله معظم الناس في العالم قليلا كان أم كثيرًا - بأن الأنبياء محرومون منه في حين أن الهدف الأساسي منه هو تكميل النبوة. فإذا كان مئات الألوف من الكفار أيضا يشهدون بأنهم يتلقون وحيًا أو يرون رؤى فدل ذلك على إمكانية تلقي الوحي أو الرؤيا. فبعد ثبوت هذه الاحتمالية يُعدّ من الجهل الكبير القول بأن الأنبياء لا يتلقون وحيًا واضحًا، بل الوحي عندهم ليس إلا خواطر القلب.

ثم قال عليه السلام بأنّ الوحي قد ينــزل بلغات لا يعرفها الموحى إليه. فلو كان الوحي خواطر وأفكارا لكان بلغة يعلمها متلقيه. ولكن لما كان الملهمون يتلقون الوحي أحيانًا بلغات لا يعلمونها فثبت أن الوحي ليس مجرد خواطر وأفكار، بل ينــزل بالكلمات الواضحة المفهومة.

يواجه الاعتقادُ بالوحي اللفظي المسموع اعتراضًا يقول: هل لله لسان وشفتان ويتكلم باستخدام الكلمات؟ فقد ردّ عليه المسيح الموعود عليه السلام بأن الله تعالى لا يحتاج إلى لسان للكلام فهو ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾، فمن يؤمنون بأن الله تعالى قد خلق العالم بدون يدين ماديتين لا يصعب عليهم الإيمان بأنه يقدر على الكلام بدون لسان.

كما أعطى عليه السلام ردًّا آخر أيضا إذ قال بأنه لا يمكن - بدون كلمات الوحي الواضحة ذات الشوكة والعظمة - أن يوقن الإنسان بأنه أُمر من

الله تعالى بشيء. وهذه الكلمات التي تنزل عليه من خارج ذاته تكون برهانًا أن هناك قوة أخرى عظيمة وجهتها إليه.

الخطأ الرابع: الخطأ الرابع الذي وقع فيه الناس بخصوص الوحي هو ظنُّهم بأن الوحي ينتج عن بعض الحالات العقلية. وقد قال المسيح الموعود عليه السلام: لا شك أن هذا ما يحدث أحيانًا ولكنه ليس صحيحًا القول بأن هذا ما يحدث دوما وأنّ الوحي لا ينــزل من خارج كيان الإنسان، والدليل على ذلك أن بعض وحي الأنبياء والمؤمنين يحتوي على علوم لا يطالها العقل الإنساني؛ كاحتوائه مثلا على أخبار مستقبلية عظيمة.

والردّ الثاني الذي قدمه عليه السلام على هذه الفكرة هو: إذا كان المراد من الحالة العقلية أن الوحي يحدث نتيجة لخلل دماغي، فلماذا كان متلقو الوحي شخصياتٍ تتمتع بأفضل القوى الذهنية والعقلية؟ وهذا دليل على أن الوحي ليس نتيجة خلل دماغي.

إنني أتعجّب ممن يحسب الوحي ناتجا عن خلل في الدماغ؟ أفلا يرون أن دماغ الإنسان وقوته العقلية تضعف في الشيخوخة ولكن لا يطرأ على الأنبياء أبدًا هذا النوع من أثر الشيخوخة، بل يزداد وحيهم شوكة في الشيخوخة؟

الخطأ الخامس: يقال عن الوحي إنه يتعارض مع رقي الإنسان الذهني والعقلي لأنه لو انكشف أمر ما بواسطة الوحي فلا مجال للتفكر والتدبر.

ولقد ردّ المسيح الموعود الطَّيْكِلاّ على هذا الخطأ من خلال توجيهه للناس إلى أن الوحي لا يتعارض مع الرقي الذهني، بل العكس صحيح، إذ جعله الله تعالى من أجل الرقي الذهني والعقلي للإنسان. نعلم من خلال النظر إلى نظام العالم أن هناك سلسلتين - الروحانية والمادية - متلازمتان ومتشابهتان؛ أما السلسلة المادية فهي لهداية الإنسان وإرشاده، وقد قرن الله تعالى فيها العقل بالخبرة حتى يتم بها التعويض عن الضعف الفكري فينجو الإنسان من الوقوع في الخطأ. أما في السلسلة الروحانية فجعل العقل مع الوحي حتى لا يخطئ العقل فيوقع الإنسان في هوة الدمار. فإذا كان العقل وحده ليس كافيًا لهداية الإنسان في الأمور المادية بل يحتاج إلى الخبرة فكيف يسوغ لنا الاعتماد عليه في الأمور الروحانية؟ وكيف يجوز لنا القول بأن الله تعالى قد جعل الخبرة لسد نقائص العقل في السلسلة المادية التي هي أدنى من السلسلة الروحانية، أما السلسلة الروحانية - التي هي أعلى من المادية - فلم يجعل فيها شيئًا لإعانة العقل ومساعدته؟

ورب قائل يقول: لماذا لم يجعل الله تعالى الخبرة مع العقل في السلسلة الروحانية أيضا على شاكلة السلسلة المادية؟ والرد عليه هو: لا توصل الخبرة إلى الهدف المنشود إلا بعد العثار الكثير، وبما أن الحياة الدنيوية مؤقتة وفانية فلا حرج أن يتعثر فيها الإنسان ويتعرض للعثار بعد العثار، ولكن لو تُرك الإنسان يتعثر في مجال الحياة الأخروية - التي هي الحياة

الأبدية - لحُرم من قبول الحق مئاتُ الألوف من الناس الذين يموتون قبل اكتساب أية خبرة، ولَلَحقت بهم خسارة كبرى بسبب حرمانهم من رقي الحياة الأبدية التي خُلقوا لأجلها. فمع العلم أنه لا بد من قاعدة أو أساس قبل الشروع في التجربة ولكن بما أن الأمور الروحانية مخفية وغير محسوسة لذلك فإن اكتساب الخبرة فيها أصعب بكثير من الأمور المادية. ونرى أن العلوم قد أحرزت تطورًا مذهلا في مجال المادة إلا أن البحوث لا تزال قليلة جدًّا في مجال الدماغ وأفعاله المتعلقة بالعقل والإرادة - التي هي تشابه الروح في لطافتها، بل نظرًا إلى شحّ هذه البحوث يمكن القول إنه لم يبدأ بعدُ البحثُ عن هذه الأمور مع مرور بلايين السنين على خلق العالم.

الخطأ السادس: الوسوسة السادسة التي وقع فيها الناس كانت ظنُّهم أن الوحي قد انقطع. ولم تكن هذه هي عقيدة المسلمين فحسب، بل كانت معروفة لدى الأديان الأخرى أيضا، مع أن اليهود والمسيحيين والهندوس يسلّمون بنـــزول الوحي في العصور الأولى من تاريخ دياناتهم ولكنهم يعتقدون الآن بانسداد هذا الباب. لقد أظهر المسيح الموعود عليه السلام للعالم خطورة هذه العقيدة الخاطئة وأخبر أن الوحي ليس إلا إنعاما من الله تعالى على العباد وهو وسيلة لإنشاء علاقة متينة نابعة عن الحب العميق بين الله تعالى وعبده، وذريعةٌ للوصول إلى مرتبة اليقين، فإن الاعتقاد بانقطاع الوحي لا يُبقي من الدين والروحانية شيئا. وقد نبّه

عليه السلام المسلمين إلى هذا الأمر وقال بأن النبي ﷺ قد بُعِث إلى هذا العالم لتنـــزل أمطار رحمة الله تعالى على العالم بغزارة وبعظمة أكثر. فلا يمكن القول بأن إنعام الله تعالى قد انقطع ببعثته، كلا! بل ازداد هذا الإنعام رقيًا وازدهارًا.

والرد الثاني الذي أعطاه المسيح الموعود عليه السلام هو أن الوحي لا يقتصر على تبيين أمور الشريعة بل له أغراض أخرى أيضا؛ أحدها: أنه يبعث الناس على اليقين الكامل بالله تعالى، فلا وجه للمقارنة من ناحية الإيمان بين من يقول إن الله يتكلم معي وبين الذي يقول إن الله موجودٌ. فمع أن الشريعة قد خُتمت بالنبي ﷺ فلا تزال هناك حاجة إلى الوحي لارتقاء المسلمين إلى درجة اليقين والاطمئنان.

والرد الثالث الذي قدمه عليه السلام هو أن الله تعالى يُطْلع من خلال الوحي على المعارف الدقيقة، فإن الله يعلّم في ثانية واحدة علومًا روحانية لا يسع الإنسان اكتسابها ولو ببذل جهودٍ لمئات السنين. فكيف يمكن عدُّ أسهلِ الطرقِ تعليمًا مسدودةً أمام الأمة المحمدية، فلقد أثبت عليه السلام من تجربته أن الوحي أسرع الطرق وأكملها لكشف المعارف الروحانية لدرجةٍ ليس لها نظير في الجهود الإنسانية، فالذي لم يستطِع العلماء السابقون حلّه من خلال بحوثهم طوال ثلاثة عشر قرنًا مضت، حلّه عليه السلام بواسطة الوحي في أعوام قليلة.

والرد الرابع الذي أعطاه ﷺ هو أن أحد أغراض الوحي إظهارُ الحب، فكيف تهدأ لوعة العباد ما لم يُنــزل الله تعالى عليهم وحيَه.

على أية حال، قد أثبت ﷺ أن الوحي لا يزال مستمرا، لأنه لو قلنا بانقطاعه لاستلزم ذلك تعطّل بعض صفات الله تعالى.

يمكن أن يُعترض هنا على أن المسيح الموعود ﷺ أيضا سلّم بتعطل مؤقت لبعض صفات الله تعالى حيث قال بأن الله تعالى يوقف أحيانًا عمل صفة لتُظهِر صفةٌ أخرى عملَها، فلو كان بالإمكان حدوث هذا الأمر فما الحرج إذًا من أن يسدّ الله تعالى باب الوحي إلى يوم القيامة؟

فاعلموا أن المسيح الموعود ﷺ قد ذكر هذا النوع من التعطل عند تعارض صفتين، أما التي لا تعارض بينها فلا وجهَ للتعطّل فيها، وحيث إنّ استمرار الوحي لا يتعارض مع أية صفة من صفات الله تعالى فلا مجال للقول بانقطاعه.

فلو قال أحد: لا بد من الاعتراف بتعطل الوحي رغم الإيمان باستمراره، لأنه لا يأتي مجدد إلا بعد مئة سنة من سابقه، فهكذا تعترفون أيضا بانقطاع الوحي ولو مؤقتًا، فالرد عليه كالآتي: لم يحدث مثل هذا الانقطاع قط عند المسيح الموعود ﷺ لأنه لم يقل باقتصار الوحي على الأنبياء والمجددين بل قال إنه يَنــزل على المؤمنين أيضا بل ينــزل على الكفار والفجار أيضا في بعض الأحيان. فبما أن الأرض كروية ولا بد أن يكون الناس نائمين في بقعة من البقاع الأرضية في أي وقت من

الأوقات، فهناك إمكانية كبيرة أن ينــزل الوحيُ والإلهام على ألوف من الناس في كل ثانية؛ فلا يحدث تعطل أو انقطاع في أية لحظة. وإنني شخصيًا مستعد لأعطي جائزة لمن يثبت أنه قد مر يوم من الأيام لم يرَ فيه الناس أيةَ رؤيا ولم ينــزل على أحد وحيٌ، فلو ثبت ذلك آمنّا بانقطاع الوحي وإلا فلا.

لقد أثبت المسيح الموعود عليه السلام من خلال الآيات القرآنية بأن الله تعالى وعد باستمرار الوحي ولن يخلف الله وعده.

فلو قال أحد: لا نناقش أمر الرؤى والأحلام لأنه يمكن أن يرى الجميع رؤى بل نناقش الوحي واستمراريته، فالرد عليه كالآتي: السؤال الحقيقي المطروح أمامنا هو: هل يخلق الله تعالى الآن أيضا أسبابًا لهداية الناس أم لا؟ إذا كان الجواب بنعم فمن السخافة أن يقول أحد إنه تعالى يقدر على التعبير عما أراد بالكلمات أو باللغة التصويرية ولكن لا يُظهر مراده بالوحي الذي هو صوت مفهوم ومسموع. ولما كان من مقتضى الفطرة ابتغاء مرضات الله تعالى فلا نرى سببًا لِيُحجم الله تعالى عن تحقيقه، وإن إغلاق باب الوحي ظلم عظيم، وهو أبعد ما يكون عن الله تعالى.

تصحيح الأخطاء المتعلقة بالقرآن الكريم

لقد انتشرت في الناس أخطاء كثيرة عن القرآن الكريم، ولقد أزال المسيح الموعود عليه السلام هذه الأخطاء أيضا، ومنها على سبيل المثال:

١- **الخطأ الأول** الذي وقع فيه الناس هو اعتقادهم أنه قد حصل تحريف في القرآن الكريم ولم تكتب فيه بعض أجزائه. فقد ردّ عليه المسيح الموعود عليه السلام وقال إن القرآن الكريم كتاب كامل ذُكر فيه كل ما يحتاج إليه الإنسان من الناحية الدينية، فلو قيل إن بعض أجزائه غاب عن الوجود فلا بد أنه أدى إلى نقص في تعاليمه، وأفضى إلى خلل في ترتيب مضامينه، ولكن لا نجد فيه نقصًا ولا خللا في ترتيبه مما يثبت أنه لم يضِعْ أي جزء من أجزاء القرآن الكريم.

ويقول المسيح الموعود عليه السلام إن القرآن الكريم قدم تحديًّا: بأنه يحتوي على جميع الحاجات الأخلاقية والروحانية. ولكن لو كان أحد أجزائه قد ضاع أو فُقِد لما وُجد فيه تعليم عن بعض الأمور الأخلاقية والروحانية الهامة. ولكن الأمر ليس كذلك، بل هو يفي بجميع الحاجات الروحانية ويعالجها. ولكن لو قيل إنه لم يطرأ على مفاهيم القرآن الكريم أي نقص رغم فقدان جزء منه لاضطررنا للقول بأن من أفقد هذا الجزء كان على

حق مبين لأنه أزال عن القرآن الكريم جزءا زائدًا كان سببًا لتشويه جماله والعياذ بالله، لأنه لو بقي لاعترض الناس قائلين: ما الفائدة من هذا الجزء؟ ولماذا وُضع في القرآن الكريم؟

تذكرتُ حادثًا بهذه المناسبة؛ فعندما كنت صغيرًا سمعتُ في إحدى الليالي ضجةً أيقظتْ الناسَ من نومهم، وأرسل المسيح الموعود عليه السلام أحدًا ليتفقد الأمر، فعاد ضاحكًا وقال: بينما كانت إحدى القابلات عائدةً من توليد إحدى النساء إذ اعترضها المدعو "نانك" الشحاذ وانقض عليها بالضرب، فأثارت الصخب والعويل، فاجتمع الناس وسألوه عن ضربه لها فقال: إنها بترت أَلْيَتَيَّ. قال له الناس إنهما سليمتان ولم يبترهما أحد، فتحسس وركَيه وقال مندهشًا: والله كلامكم صحيح، وأخلى سبيل المرأة وغادر. هذه هي حالة هؤلاء الناس، فإنهم يعتقدون بالتحريف في القرآن ولا يستنفدون جهدهم في دراسته ليروا أنه كتاب كامل، وأنه لو فُقد جزء من أجزائه لحصل نقص في كماله. باختصار، إن القرآن الكريم بنفسه يشهد على كماله. فلو أخرج عثمان رضي الله عنه أو أي صحابي آخر آية من آياته لظهرت ثغرة في سياقه، ولكن العجب أنه مع قولهم بفقدان عشرة من أجزائه لم يظهر فيه أي نوع من النقص. فلو كان الأمر كذلك لكان القرآن الكريم يخلو من ذكر بعض القضايا الهامة، ولكنه يحتوي على جميع ما يحتاج إليه الإنسان لدينه وروحانيته.

٢- **الخطأ الثاني** الذي وقع فيه المسلمون قبل بعثة المسيح الموعود عليه السلام هو ظنهم أن بعض أجزاء القرآن منسوخة. فلقد ردّ عليه المسيح الموعود عليه السلام بطريقة لطيفة جدًّا إذ قال بأن الآيات التي يراها الناس منسوخة تحتوي على معارف عظيمة ذُهل حتى الأعداء بسماعها. والأصل الذي قدمه عليه السلام بهذا الخصوص هو أنه ما من آية من آيات القرآن الكريم إلا وتَثبت حكمةُ أو ضرورةُ وجودِها فيه. والآن أخذ هؤلاء القائلون بالنسخ يثبتون سمو الإسلام بتقديمهم أمام الأعداء تلك الآيات نفسها التي كانوا يحسبونها منسوخة؛ ومنها الآية: ﴿لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ﴾ (الكافرون: ٧)، كانوا يحسبونها منسوخة، أما الآن فيقدمونها أمام أعداء الإسلام برهانا على عظمة الإسلام.

٣- **الخطأ الثالث** الذي وقع فيه معظم المسلمين عن القرآن الكريم هو ظنّهم أن عجائب معاني القرآن الكريم قد انقضت في الماضي. ولقد أزال المسيح الموعود عليه السلام هذا الوهم كذلك، ورفع الصوت ضده بكل شدة، وأثبت أنه لم تنتهِ معارف القرآن في الماضي، بل لم تنته حتى الآن، ولن تنتهي في المستقبل أيضا. فقال عليه السلام:

"كما أن عجائب صحيفة الفطرة وغرائبها لم تقتصر على زمن خلا بل تتجدد دوما، كذلك الحال بالنسبة إلى هذه الصحف المطهرة، وذلك ليتحقق الانسجام التام بين قول الله تعالى وفعله." (إزالة الأوهام، الخزائن الروحانية ج٣ ص ٢٥٨)

فقد أخرج عليه السلام من القرآن الكريم كثيرًا من النبوءات المتعلقة بهذا الزمان التي لم يفهمها الناس في الماضي. فمثلا: كان السابقون يفسرون نبوءة: ﴿وَإِذَا الْعِشَارُ عُطِّلَتْ﴾(التكوير: ٥) بأن الناس لن يركبوا الجمال يوم القيامة، مع أنه لا العشار ولا غيرها تنفع الناس في ذلك اليوم. والحقيقة أن هذا الكلام كان يحتوي على نبوءة، ولم تكن ظروف الناس في سابق الزمان مواتية ومساعدة لهم لفهم معانيه الصحيحة، لذلك طبقوه على القيامة، والحقيقة أنها كانت نبوءة عن اختراع وسائل النقل والمراكب في الزمن الأخير بحيث تُترك الجِمال فلا يُسعى عليها. والآن لو أعطي لمن يعارضون المسيح الموعود عليه السلام في كل شيء نياق عشار للركوب بدل السيارة لما ركبوها أبدًا.

كذلك كانت نبوءة: ﴿وَإِذَا الْوُحُوشُ حُشِرَتْ﴾ (التكوير: ٦)، أي سوف تُنشأ حدائق الحيوانات؛ فلقد تحققت النبوءة في عصرنا هذا. إضافة إلى ذلك كان أحد معانيها أن الشعوب في العصور القديمة كان يستوحش بعضها بعضًا، وكان بينها تنافر وتباعد، ولكنها الآن صارت تتلاقى وتتواصل من خلال البرقيات والقطارات والطائرات.

كذلك كانت نبوءة: ﴿وَإِذَا الْبِحَارُ سُجِّرَتْ﴾ (التكوير: ٧)، أي ستجف الأنهار والبحار. أما الفكرة التي كانت السائدة فتقول بأن زلازل مدمرة ستقع يوم القيامة مما يؤدي إلى القضاء على الأنهار والبحار! لكنّ العالم كله سيلقى الدمار الشامل يوم القيامة، وليس

الأنهار والبحار وحدها. فلقد ذكر المسيح الموعود عليه السلام بأن المراد منه أنه ستُشقّ القنوات من الأنهار بكثرة حتى تكاد تجفّ.

كذلك كانت نبوءة: ﴿وَإِذَا النُّفُوسُ زُوِّجَتْ﴾ (التكوير: ٨)، وكان المعنى السائد لهذه الآية هو: أنّ الناس سيُجمعون كلهم يوم القيامة رجالا ونساء! لكنّ هذه الأرض ستدمّر يوم القيامة، فكيف يتم جمعهم فيها؟ لقد شرح المسيح الموعود عليه السلام هذه الآية وقال إنها تتضمن نبوءة عن اختراع وسائل وأدوات تمكن الإنسان من الاتصال والتواصل مع القاطنين في بلادٍ بعيدة، فانظروا الآن، ألا يتحقق هذا الأمر؟

كذلك فقد أثبت عليه السلام من الآيات القرآنية المختلفة أنها تحتوي على علوم الطبيعة الصحيحة، فمثلا: ﴿وَالشَّمْسِ وَضُحَاهَا * وَالْقَمَرِ إِذَا تَلَاهَا﴾ (الشمس: ٢-٣)، فقد أشير هنا إلى أن ضوء القمر ليس ذاتيًا بل يقتبس نوره من الشمس.

باختصار، أثبت عليه السلام من عشرات الآيات أن القرآن الكريم يشير إلى علوم الطبيعة التي لا يسع الناس في عصر من العصور فهمها كاملا بل ستتضح حقيقتها الكاملة في وقتها.

كذلك قال عليه السلام إن علوم القرآن الكريم تتجدد بتجدد الزمان، ولقد وهبنا الله تعالى– وفق هذا القانون– علمًا للقرآن الكريم بحيث لا يقدر أحد على مواجهتنا فيه.

لاحظوا، ما أعظمه من تغيير أحدثه المسيح الموعود عليه السلام. لقد كان المشايخ قبله يقولون: هذا الأمر ورد في تفسيرِ فلان، وإن قدم أحد شيئًا جديدًا قالوا: في أي تفسير ورد هذا الأمر؟ ولكن المسيح الموعود عليه السلام قال إذا كان الله تعالى هو من علَّم القرآن وعلومَه لأصحاب هذه التفاسير فلماذا لا يعلمنا؟ وبذلك فقد أخرجَنا من بركة ماء صغيرة وجعلنا نعبّ عباب البحر الزاخر.

٤- **الخطأ الرابع** الذي وقع فيه الناس هو ظنهم أن مواضيع القرآن لم تندرج بترتيب محكم، ولم يكونوا يؤمنون بأن هناك علاقةً بين كل آية وآية ورابطًا بين كلمة وكلمة، بل كانوا أحيانًا يغيّرون في التفسير في ترتيب القرآن الكريم لإيمانهم بوجود التقديم والتأخير فيه. لقد أزال المسيح الموعود عليه السلام هذا الخطأ الخطير أيضا وقال بأنه لا بأس بالتقديم والتأخير البلاغي في بعض الآيات ولكن هل يمكن لأحد أن يقدّم أفضل وأعلى من واقع الترتيب القرآني؟ فلو كان الترتيب الموجود هو الأفضل والأعلى فلماذا تنسبون الأدنى إلى القرآن الكريم؟

لقد قدم عليه السلام تحدّيًا أمام الآريا من الهندوس وقال بأنّ ما روعي في القرآن الكريم ليس هو الترتيب المعنوي فحسب بل الترتيب الظاهري أيضا، حتى الأسماء أيضا ذكرت وفق الترتيب الزمني لأصحابها اللهم إلا إذا تطلب الترتيب المعنوي للموضوع تقديم شيء وتأخير آخر، ولا شك أن الترتيب المعنوي مقدم على الترتيب الزماني.

٥- **الخطأ الخامس** الذي وقع فيه المسلمون وغير المسلمين أيضا ظنهم أن هناك تكرارًا في مواضيع القرآن الكريم. ولقد أثبت المسيح الموعود عليه السلام أنه لا تكرار فيه بل كل كلمة واردة فيه تأتي بمعاني جديدة وميزات فريدة. ولقد شبه عليه السلام آيات القرآن الكريم بهيئة الوردة التي قد تبدو كل بَتلَةٍ من بتلاتها تكرارًا لكنها في الحقيقة تمثل حلقة مكمِّلة لسلسلة جماله. فهل يمكن أن تبقى الوردة كاملةً بعد إزالة بتلة من بتلاتها؟! كلا، كذلك القرآن الكريم، فكما أن كل بتلة من بتلات الوردة تزيدها جمالا وروعة، وجعل الله تعالى فيها سلسلة وراء سلسلة من البتلات ولا ينهيها إلا عند اكتمال هيئة الحسن والجمال، كذلك فإن الموضوع المتكرر في القرآن الكريم يرد بمعاني جديدة ولأغراض جديدة، وهكذا يصبح القرآن الكريم بمجمله كتابا كاملا.

يقول المسيح الموعود عليه السلام إن الظن بأن كل آية من آيات القرآن الكريم منفصلة أو مستقلة لهو ظن خاطئ. إن مثل آيات القرآن كمثل ذرات الجسم، ومثلُ سوَرِه كمثل أجزاء الجسم؛ مثلا عدد أسنان الإنسان هو ٣٢ سنًّا، فرب قائل يقول: هذا تكرار للسن الواحدة ٣٢ مرة لذلك ينبغي المحافظة على سن واحدة وكسر الـــ ٣١ الباقية، أو يقطع إحدى أذنيه لأنها زائدة، أو يقول: ما كان ينبغي أن تكون للإنسان ١٢ ضِلعًا ويجب كسر ١١ منها. كذلك فهناك مئات الألوف من الشعرات على جسم الإنسان، فهل من أحد يحلق شعر بدنه كله

ويُبقي شعرة واحدة حتى يتفادى التكرار؟! فادرأوا التكرار عن أجسامكم لتعرفوا ما الذي يبقى عندكم بعده؟ باختصار، لقد وضّح المسيح الموعود عليه السلام معاني القرآن الكريم وردّ على فكرة تكرار مضامينه ردًّا قاطعًا ومفحمًا جدًّا.

٦- **الخطأ السادس** الذي وقع المسلمون فيه كان ظنهم بأن قصص الأقوام السابقة ذكرت في القرآن الكريم للعبرة فقط. فلقد ردّ المسيح الموعود عليه السلام على هذه الشبهة أيضا وأثبت أن العبر والعظات تؤخذ من القصص القرآنية حقا ولكنها لم ترد في القرآن الكريم لهذا الغرض فقط بل وردت في الحقيقة كنبوءات للأمة المحمدية أيضا، وسيحدث في المستقبل ما تضمنته أنباء القصص، ولأجل ذلك لا يذكر القرآن الكريم قصة كاملة متسلسلة بجميع جزئياتها بل يتناول جزءًا مختارًا منها لتوضيح النبأ المقصود. وهو أمر واضح إذ تحققت حتى جزئيات صغيرة للقصص القرآنية ولا تزال تتحقق. لقد وردت في القرآن الكريم قصة النملة، ويتضح من التاريخ أن حادثة مماثلة حدثت في عهد هارون الرشيد حيث كانت امرأة ترأس قبيلة النمل كما كانت في عهد سليمان عليه السلام، وقدمت لهارون الرشيد كيسًا مليئًا بالذهب قائلة: إنني فخورة لأن امرأة من قبيلتنا قد قدمت مثل هذه الهدايا لسليمان وها إنني أقدمها لك، وهكذا صرتَ تشبَه سليمان عليه السلام، فسُرّ هارون الرشيد أنه شُبّه بسليمان عليه السلام.

٧- **الشبهة السابعة** التي كانت قد تولدت لدى كثير من المسلمين وغير المسلمين هي أن القرآن الكريم يحتوي على أمور مخالفة للتاريخ. ولقد خاف السير سيد أحمد خان من هذا الاعتراض فتبنى القول بأن القرآن يتضمن أمورًا ذُكرت على سبيل الإلزام، أي ذُكرت فيه بعض الأحداث أو المعتقدات غير الصحيحة إلا أن المخاطبين يسلّمون بصحتها، فَقُدّمت على فرض صحتها لإفهامهم. ولكنه قول يزيد الطين بلة ويجعل الموقف أكثر خطورة، لأنه يمكن أن يجابهنا سؤال: كيف نعرف أن الأمر قد ذُكر على سبيل الإلزام أو أنه قُدّم دليلا على صدق الدعوى؟ وبناء على هذا الدليل لو عدَّ أحد جميع الأمور المذكورة في القرآن الكريم من قبيل الخطاب والإلزام فلا يمكن ردّه، وهكذا لن يبقى شيء لدى العالم كله. فلا بد للدليل الإلزامي والخطابي أن يفصح عنه كاتبه أنه إلزامي.

لم يستخدم المسيح الموعود عليه السلام هذا الأصل الإلزامي للرد على الاعتراض السابق بل ردّه بقوله إن القرآن الكريم كلام الله عالِمِ الغيب فلا بد لكلّ ما جاء من عنده أن يتسم بالصحة، ومن غير المعقول أن تُقدّم كتب التاريخ التي يُعترف بضعفها على كلام الله. ولا بد لشرح بيان القرآن الكريم من مراعاة الأصول التي وضعها القرآن نفسه، كما يجب ألا يُعَدَّ القرآن كتابًا للقصص، أو تُعَدَّ تعاليمُه الحكيمة مجموعةً لأمور سطحية فارغة.

٨- **الخطأ الثامن** الذي وقع فيه الناس هو أن القرآن الكريم يذكر أحيانًا أمورًا صغيرة هامشية لا تفيد في مجال العلم والعرفان ولا تساهم في ارتقاء الذهن الإنساني.

لقد أثبت المسيح الموعود عليه السلام خطأ هذا الظن أيضا وقال بكل قوة إن القرآن لا يحتوي على أي أمر غير ذي بال، بل ما ذكره من معانٍ وأحداثٍ وقصصٍ فهو يقع على جانب كبير من الأهمية.

وأذكر على سبيل المثال حدثًا من قصة سليمان عليه السلام، فقد ورد في القرآن الكريم أنه بنى قصرًا وفرش أرضيته بالزجاج الذي يجري تحته الماء، فلما جاءته ملكة سبأ أمرها بالدخول إلى هذا القصر فخافت ظنًّا منها أنه ماء يجري، فقال لها سليمان عليه السلام لا تخافي فإن ما تظنينه ماءً إنما هو أرضية زجاجية يجري من تحتها الماء. وقد وردت القصة بالكلمات التالية: ﴿قِيلَ لَهَا ادْخُلِي الصَّرْحَ فَلَمَّا رَأَتْهُ حَسِبَتْهُ لُجَّةً وَكَشَفَتْ عَنْ سَاقَيْهَا قَالَ إِنَّهُ صَرْحٌ مُمَرَّدٌ مِنْ قَوَارِيرَ قَالَتْ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي وَأَسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمَانَ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ (النمل: ٤٥).

يقدم المفسرون تفاسير عجيبة لهذه الآية، فبعضهم يقول: كان سليمان عليه السلام يريد الزواج منها ولكن الجنّ أخبروه أن ساقيها يكسوهما الشَّعر، فأراد تحرّي الأمر، فبنى قصرًا لهذه الغاية، فلما رفعت ثيابها فزعًا، وكشفت عن ساقيها، علم سليمان عليه السلام أنهما ليستا كذلك.

ويقول البعض إن سليمان عليه السلام لم يبنِ القصر الممرد بالقوارير ليرى شعر ساقيها، وإنما الواقع أنه وجد في إحضار عرشها إساءةً له لأنه طلب منها عرشها فامتنعت، فأمر ببناء القصر إظهارًا لعظمته. ولكن هل من عاقل في الدنيا يقول إن هذه الأمور تبلغ من الأهمية بحيث يذكرها الله تعالى في وحيه الكامل الذي هو آخر شريعة للإنسانية. الحق أن هذه الأفعال التافهة لا تمتّ إلى الدين ولا إلى المعرفة بصلة، كما لا يعقل أن ينشغل أنبياء الله تعالى بهذه الأمور التافهة.

لقد شرح المسيح الموعود عليه السلام هذه الآية شرحًا أظهر الحقيقة وأثبت بوضوح أن ما جاء في القرآن الكريم يبعث على الإيمان والعرفان والتقدم فيهما. قال عليه السلام: يتضح من القرآن الكريم أن ملكة سبأ كانت مشركة تعبد الشمس، وأراد سليمان عليه السلام منْعَها من الشرك، فقام بنُصحِها بالكلام وإلى جانب ذلك أراد كشف خطأ عقيدتها لها عمليا، فاختار للقاء معها قصرًا أرضيتُه زجاجيةٌ يجري تحتها الماء، فلما همّت بالمرور عليها ظنّتْها ماءً فكشفت عن ساقيها بسرعة، أو المعنى أنها خافت خوفًا شديدًا- لأن الكشف عن الساق يعطي كلا المفهومين - فهدّأ سليمان عليه السلام من روعها وقال: لا تنخدعي؛ فالذي تظنينه ماءً ليس إلا أرضية زجاجية يجري تحتها الماء. لقد كشف عليها سليمان بطلان الشرك بالأدلة من قبل، فوضّحَ لها الآن حقيقته بمثال عملي وبيّن أنها كما رأت الماء من خلال الزجاج وظنته ماءً كذلك فإن نور الله في الحقيقة يتجلى

في الأجرام السماوية إلا أن الناس ينخدعون فيحسبون تلك الأجرام آلهة. فاقتنعت بهذا الدليل وقالت من فورها: ﴿رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي وَأَسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمَانَ للهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ أي أؤمن بالله الذي هو رب العالمين والذي هو منبع الفيوض وتستفيض الشمس والقمر من فيوضه.

لاحظوا الآن ما أروع هذا الموضوع المتسم بالصبغة الفلسفية بحيث يمكن تأليف كتاب فيه. ولكن الناس قبل بعثة المسيح الموعود عليه السلام كانوا يقولون إن سليمان عليه السلام بنى قصرًا لرؤية الساقين المغطاتين بالشعر. أفلا تتزوج النساء اللواتي على سيقانهن شعر؟ وهل يجوز لنبي أن ينشغل بمثل هذه الأمور؟ باختصار، لقد رسخ المسيح الموعود عليه السلام أهمية مضامين القرآن ونزّهه عن جميع الأمور الباطلة المنسوبة إليه.

٩- **الخطأ التاسع** الذي وقع فيه الناس هو ظنّهم أن كثيرًا من دعاوى القرآن لا يمكن إثباتها بدليل. كان موقف المسلمين آنذاك هو أن القرآن الكريم كلام الله، لذلك نؤمن بصدق كل ما ورد فيه. أما المعارضون فكانوا يقولون: إنه مجموعة أمور تافهة فلا يسعنا الإيمان بها. فقال المسيح الموعود عليه السلام بأن كل تحدٍّ قرآني مدعومٌ بأدلة قاطعة، والقرآن الكريم بنفسه يقدم دليلا على كل دعاواه، بل هو ما يميّز القرآن الكريم عن الكتب الإلهامية الأخرى. تقولون: دعاوى القرآن الكريم بقيت بلا دليل، ولكن الحقيقة أنه يمكن إثبات جميع دعاويه بالأدلة بل هو بنفسه يبرهن على تحدياته. والكتاب الذي يحتاج إلى أدلتنا لإثبات

دعاويه لا يمكن أن يتسم بالكمال. هل يجوز أن يقدم الله تعالى دعوى ثم يُعهد إلينا مهمة البحث عن أدلتها؟ بل هو أمر مشابه لما كان يحدث في قصور المهاراجات، حيث كان المهاراجا يقول بشيء وكانت حاشيته تؤيده بترديد كلمة نعم نعم. فلقد تحدّى المسيح الموعود عليه السلام وقال: لم يقم القرآن بدعوى إلا وقدم على صدقها برهانًا بل براهين كثيرة. ولقد سلط عليه السلام على هذا الموضوع ضوءًا كافيًا وأسهب فيه لدرجة أدت إلى إفحام الأعداء وإسكاتهم.

لقد حدثت في "أمرتسر" مناظرة بين المسيح الموعود عليه السلام والمسيحيين ثم نُشرت بعنوان: "الحرب المقدسة"، قدم عليه السلام فيها أمامهم شرطًا أساسيًا وهو أن يلتزم كلا الفريقين بإثبات دعواه وأدلته من كتابه الإلهامي، فلم يستطع المسيحيون إثبات ادعائهم ببنوة المسيح لله من الإنجيل ناهيك عن أن يكون مصحوبًا بالأدلة.

يقول الخليفة الأول رضي الله عنه: بينما كنت مسافرًا في القطار إذ قال لي أحد المسيحيين: حضرتُ مناظرة الميرزا بأمرتسر ولكنني لم أستفد منها شيئا، فهل عندك دليل على صدقه؟ فقال رضي الله عنه: هذه المناظرة دليل بيّن على صدقه. سأل المسيحي: كيف ذلك؟ قال رضي الله عنه: لقد طالب الميرزا المسيحيين بإثبات ادعائهم وأدلته من كتابهم الإلهامي ولكنهم لم يجدوا ردًّا، فلو كنت مكان الميرزا المحترم لنهضت وغادرت، ولكن الميرزا

المحترم يتحلى بكثير من رحابة الصدر إذ ظل يسمع هُراء المسيحيين طيلة خمسة عشر يومًا وبقي ينصحهم ويفهّمهم.

١٠- **الخطأ العاشر** الذي وقع فيه بعض الناس؛ ظنُّهم أن القرآن الكريم يتعارض مع العلوم اليقينية وأنه يذكر أمورًا مخالفة لها. ولقد ردّ عليه السلام على هذا الخطأ أيضا، وقال إن القرآن الكريم لهو الكتاب الوحيد الذي يقدم بكل قوة فعلَ الله تعالى أو الطبيعة مع الاعتراف بأهميته القصوى، ويعدُّ السلسلةَ المادية أي الطبيعةَ أو فعلَ الله تعالى مماثلا للسلسلة الباطنية أي كلام الله تعالى، ولا يمكن التعارض بين قول الله وفعله، لذلك من الخطأ القول إن القرآن يذكر أمورًا مخالفة للعلوم الطبيعية. وقال عليه السلام أيضا: أما ما حسِبه البعض مما ورد في القرآن مخالفًا لقوانين الطبيعة فإنه لا يخرج عن حالتين اثنتين؛ فإما أن ما حسِبه الناس قانونَ الطبيعة هو ليس قانون الطبيعة أصلا، وإما أن فهمهم لتلك الآيات ليس صحيحًا. فلقد ضرب عليه السلام أمثلة كثيرة على الفهم الخاطئ لآيات القرآن الكريم، ومنها الآيتان التاليتان: ﴿وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الرَّجْعِ * وَالْأَرْضِ ذَاتِ الصَّدْعِ﴾ (الطارق: ١٢-١٣). كان الناس يفسرونهما بأن السماء تدور والأرض تتصدع وتتشقق. فقد اعترض عليه الطبيعيون بأن السماء ليست شيئًا ماديًّا فكيف تدور إذًا؟ ثم هي لا تدور حتى لو فرضنا جدلا أن لها وجودًا ماديًّا بل الأرض هي التي تدور. ولقد شرح المسيح الموعود عليه السلام هذه الآية وقال: السماء هنا تعني الغيوم، والرجع هو العود مرة

بعد أخرى. فلا تعني الآية أن السماء تدور بل المعنى: نقدّم أمامكم شهادة السماء ذات الرجع؛ أي أفلم تروا إلى الغيوم كيف تعود مرة بعد أخرى فتمطر على الأرض اليابسة مطرًا بعد مطر.

ثم يقول تعالى بأننا نقدم أمامكم شهادة الأرض التي تتصدع وتنشق عند هطول مطر السماء عليها ويخرج منها النبات. وقد أُخبِرنا بشهادتهما أن الله تعالى خلق الغيوم التي تعود مرة بعد أخرى وتمطر وتؤدي إلى تنمية الأرض وخضرتها وبدونها لا يمكن نماؤها وازدهارها. كذلك هي حال الحياة الروحانية، فما لم يرسل الله تعالى سحبَ فضله ورحمته ويمطر ماء وحيه لا تظهر كفاءة انشقاق الأرض، ولكن عند نزول ماء الوحي من السماء تتفتق كفاءات الذهن الإنساني أيضا فيبدأ بإدراك المفاهيم الروحانية الدقيقة، وهو ما يدل عليه سياق هذه الآيات أيضا، حيث يقول الله تعالى: ﴿إِنَّهُ لَقَوْلٌ فَصْلٌ * وَمَا هُوَ بِالْهَزْلِ﴾ (الطارق: ١٤-١٥) أي ثبت من القول الأول أن القرآن الكريم ليس بالهزل واللغو بل هو كلام يُثبت الحقيقة. وبما أن الأرض الروحانية في هذه الأيام أيضا كانت تجف وتيبس، والناس كانوا يجهلون العلوم الدينية، فكانت هناك ضرورة لتمطر سحب رحمة الله تعالى بصورة كلامه لإزالة جفاف الناس الروحاني.

كذلك بيّن عليه السلام أن الناس في زمن نزول القرآن يظنون أن السماء شيء مادي صلب تعلّقت به النجوم، ولكن ذلك كان خلافًا للحقيقة،

فردّ القرآن الكريم على هذه الفكرة وقال: ﴿وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ﴾(يس: ٤١)، أي أن السماء ليست شيئا صلبا بل هي مادة لطيفة تشبة السائل تسبح فيها الأجرام السماوية كالسبّاحة في الماء. ونظرية الأثير في العصر الحاضر أقرب إلى هذا البيان القرآني.

كذلك قال عليه السلام: يفسر الناس قول الله تعالى: ﴿وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا﴾ (النساء: ٢) أن حواء خُلقت من ضلع آدم، وهو ما يُعتَرض عليه، في حين أنه تفسير خاطئ. لم يقل القرآن الكريم أن حواء خُلقَتْ من ضلع آدم بل معنى الآية أن حواء خلقت من جِنس آدم، بمعنى أن المرأة أيضا خُلقتْ بالقوى والمشاعر نفسها التي خُلق بها آدم. لأنه لو لم يكن الرجل والمرأة متجانسين في مشاعرهما لما نشأ بينهما الحب والمودة الحقيقية. بل لو أودع الرجل قوة الشهوة ولم تكن في المرأة، لتعاركا دومًا ولَمَا اتفقا على أمر واحد. فلقد أودع الله تعالى المرأة مشاعر مماثلة ومتجانسة لما أعطاها الرجل ليعيشا حياة ملؤها المحبة والمودة.

لاحظوا كيف يبعث هذا الأمر على المحبة والتوافق والانسجام بين الرجل والمرأة، فلو غضب رجل على زوجه يُنصَح بأن للمرأة مشاعر مماثلة لمشاعرك، فكما لا تحب أن تُجرَح مشاعرُك كذلك هي أيضا تريد ألا تُجرَح مشاعرُها، فينبغي أن تحترم مشاعرها أيضا.

كذلك قال عليه السلام يظن البعض أن الآية: ﴿الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ الرَّحْمَنُ فَاسْأَلْ

بِهِ خَبِيرًا﴾ (الفرقان: ٦٠) تقول إن السماء والأرض خلقتا في ستة أيام ثم استوى الله تعالى على العرش، ولكنه خطأ، لأنهما خلقتا في ملايين السنين، وهو أمر ثابت علميا. ولكن الحقيقة أن الناس لا يفهمون معاني الآية القرآنية. لا يسعنا تحديد الفترة الزمنية التي استغرقها خلق السماوات والأرض ولكن ما نعرفه هو أنهما لم تُخلقا في ستة من الأيام المعروفة لأن اليوم نتيجة لطلوع الشمس وغروبها، ولكن أين كانت هذه الأيام المعروفة قبل وجود الشمس. فمعنى اليوم هنا مرحلة معينة من الزمن. لقد ذُكر "اليوم" في القرآن الكريم كألف سنة وكخمسين ألف سنة أيضا، والمراد من الآية أن السماوات والأرض خُلقتا في ست مراحل طويلة من الزمن.

١١- **الخطأ الحادي عشر**: كان الناس يخطئون في تفسير القرآن الكريم، فوضع المسيح الموعود عليه السلام أسسًا متينة لتفسير القرآن الكريم مما أدى إلى تقليل احتمال التعرض للخطأ في تفسيره. وباتباع هذه الأصول فتح الله تعالى على أتباع المسيح الموعود عليه السلام معارف القرآن الكريم التي لم يفتحها على غيرهم. فقد أعلنتُ مرات كثيرة عن هذا التحدي وهو أن يُفتَح القرآنُ من أي مكان أو يتمّ اختيارُ بعضِ آياتِه بالقُرعة ثم أكتب معارف هذا الجزء ويكتبُها بحذائي ممثّلٌ لأية جماعة أخرى، فسينكشف للجميع مَن ذا الذي يريد الله تعالى أن تظهر المعارف القرآنية على يده، ولكن لم يقبل أحد هذا التحدّي.

وإليكم الآن أصول التفسير التي ذكرها المسيح الموعود عليه السلام:

١- لقد ذكر عليه السلام أن القرآن الكريم سرٌّ من أسرار الله ولا ينكشف إلا على الذين يتمتعون بعلاقة خاصة بالله تعالى. لذلك فلا بد للإنسان من إنشاء تلك العلاقة بالله تعالى لفهم القرآن الكريم. ولكن العجيب أن مؤلفي تفاسير القرآن الكريم لم يكونوا متصوفين ولا أولياء لله بل كانوا مشايخ عاديين يعرفون اللغة العربية. لا شك أنهم كتبوا تفسير بعض الآيات تفسيرًا لطيفًا ورائعًا كتفسير محيي الدين بن عربي لبعض الآيات القرآنية فهو تفسير رائع لدرجةٍ أنه يترسخ صدقه في القلب لدى قراءته. على أية حال، أخبر المسيح الموعود عليه السلام أنه لا بد من التعلق بالله لفهم القرآن الكريم.

٢- والأصل الثاني الذي ذكره عليه السلام هو أن كل كلمة من كلمات القرآن الكريم وضعت في ترتيب محكم. ولقد سهُل تفسيرُ القرآن الكريم بهذه النقطة الرائعة التي أسهمتْ في كشف معارفه اللطيفة. فيجب على من يتدبر القرآن الكريم مراعاة تقديم الله تعالى كلمةً وتأخيره لأخرى، وبذلك سيفهم من خلال التمسك بهذا الأصل الحكمةَ من وراء الترتيب القرآني الموجود.

٣- ليست هناك كلمة من كلمات القرآن الكريم زائدة بحيث لا هدف منها، بل كل لفظ من ألفاظه جاء لأداء مفهوم خاص ومعنى معين. فلا تتركوا أية كلمة من كلماته دون التدبر فيها.

٤- كما أنه لا توجد كلمة من كلمات القرآن الكريم بلا معنى، كذلك كل كلمة من كلماته قد وردت في السياق والسباق المناسب والضروري لها، فلا بد عند التفسير من فهم علاقة الكلام بما قبله وما بعده، ويؤدي عدم مراعاة هذا الأمر إلى حدوث خطأ في التفسير والمعنى.

٥- يبرهن القرآن الكريم على كل ما يقدمه من دعوى، ولقد سبق أن ذكرتُ هذا الأمر بشيء من التفصيل، فقد قال عليه السلام لو بحثتم عن دليل على دعوى القرآن الكريم في المكان الذي وردت فيه فلا بد أن تجدوه.

٦- القرآن يفسر بعضُه بعضًا، فإذا وجدتم في بعض الأماكن كلامًا ناقصًا فلا بد أن تبحثوا عن جزئه الثاني المكمِّل له وستجدونه وهكذا سيكتمل ذلك الموضوع.

٧- ليس في القرآن الكريم تكرار، ولقد فصّلت في هذا الأمر سابقًا أيضا.

٨- ليس القرآن مجموعة قصص قديمة بل كل قصة وردت فيه كنبوءة، ووضحت ذلك سابقا أيضا.

٩- لا نسخ في القرآن. لقد كان الناس - فيما مضى - إن لم يفهموا معنى آية قالوا إنها منسوخة، وهكذا جعلوا جزءا كبيرا من القرآن منسوخًا. ومَثلهم كمثل شخص كان يظن أنه من كبار الشجعان، وكان الناس في ذلك الزمن يتخذون علامةً ما لشجاعتهم ثم يطلبون رسمها بالوشم على جسمهم، فذهب هذا الشخص إلى وَشّامٍ وطلب منه رسم صورة أسد على ساعده. ولما بدأ الوشّام عمله بغرز الجلد بالإبرة تألَّمَ وصرخ وسأله: ماذا تصنع؟ قال أرسم إحدى أُذنَي الأسد. قال ألا يبقى الأسدُ أسدًا بدونها؟ قال بلى، سيظل أسدًا. قال فلا ترسم الأذن وارسم عضوًا آخر، وعند كل وخزة كان يقول له دَعْك من هذا وارسم عضوًا آخر، فلم يزل يمنع الوشّام من رسم الصورة حتى قال له الوشام: يمكنك العودة إلى بيتك لأنه لم يبق الآن أي عضوٍ من أعضاء الأسد حتى أرسمه. هذه هي حالة القرآن الكريم عند القائلين بالناسخ والمنسوخ فيه، لأن عدد الآيات المنسوخة قد وصل إلى ألف ومئة آية. فجاء المسيح الموعود عليه السلام وقال بأنه لا توجد آية واحدة في القرآن الكريم منسوخة. ثم بين لهذه الآيات المنسوخة عندهم معاني لطيفة ومعارف دقيقة.

١٠- هناك أصل ذهبي ذكره المسيح الموعود عليه السلام عن القرآن الكريم، وهو أنه لا يمكن أن يخالف كلامُ الله تعالى سننَه. فلم يقل إن العلوم لا تخالف كلام الله تعالى - لأن العلوم تخطئ أحيانا ويتأكد

خطؤها – بل قال إن سنة الله تعالى لا تخالف كلامه، ولكن قد يخطئ الناس في فهم كلامه كما يخطئون في فهم سنته.

١١- أخبر عليه السلام أيضا أنه ليست في اللغة العربية كلمات مرادفة بل لكل كلمة دلالة منفصلة بل إن حروفها أيضا تحتوي على معاني ومفاهيم شتى.. فلا بد من الانتباه إلى اختلاف الكلمات أثناء التفسير حتى لا تغيب عن الذهن بعض المعاني الزائدة التي ذكرها الله تعالى باختيار كلمة خاصة مختلفة.

١٢- سُوَر القرآن الكريم تحل محل أعضاء الإنسان في جسمه، وهي تُظهر كمال القرآن بصورة مجتمعة ومتقابلة معًا. قال عليه السلام: لفهم أمر ما لا بد من نظرة إجمالية في القرآن كله، ولا يجوز اقتطاع جزء منه والنظر فيه بمعزل عن بقية القرآن الكريم.

١٢- **الخطأ الثاني عشر**: الخطأ الثاني عشر الذي وقع فيه الناس ظنهم أن الحديث حكَم على القرآن الكريم، بل كانوا يقولون إن الحديث يمكن أن ينسخ آيات قرآنية. ولقد أزال المسيح الموعود عليه السلام هذا الخطأ بقوله إن القرآن الكريم هو الحكَم والأحاديث تابعة له، فإن كان متوافقا مع القرآن الكريم أخذناه وإلا رددناه، كذلك لن يُقبل إلا الحديث الموافق لقانون الطبيعة، وذلك لأن كلام الله تعالى لا يمكن أن يكون مخالفًا لفعله.

١٣- **الخطأ الثالث عشر** الذي وقع فيه الناس هو ظنّهم أن القرآن كتاب مجمَل، فما ذَكَر إلا بعض الأمور الهامة، أما التفاصيل كتفاصيل الأمور الأخلاقية والحضارية والاجتماعية فلم ترد فيه؛ فأعلن المسيح الموعود عليه السلام ردًّا على هذا الظن أن القرآن الكريم كتابٌ كاملٌ يذكر جميع الأمور المتعلقة بالروحانية والمعاد والتحضّر والسياسة والأخلاق التي تهمّ رقي الإنسان الروحاني. وقال عليه السلام بأنني على استعداد لإثبات جميع هذه الأمور من القرآن الكريم وإظهارها منه.

١٤- **الخطأ الرابع عشر** الذي وقع فيه الناس هو ظنّهم أن بعض تعاليم القرآن الكريم كانت مؤقتة تنسجم وتتماشى فقط مع حالة العرب وعصرهم، أما الآن فيمكن التغيير فيها، حتى كتب من أمثال "سيد مير علي" أن عقيدة الإيمان بالملائكة وبتعدد الزوجات هي من هذا القبيل. الحقيقة أنهم كانوا يخافون من اعتراضات المسيحيين، ولذلك كتبوا أن تلك الأمور كانت تخص العرب فقط ولا تخصهم هم، فيمكن الاستغناء عنها.

لقد خطّأ المسيح الموعود عليه السلام هذا التفكير وقال إن أحكام القرآن كلها صحيحة وسارية وليس حكم من أحكامه مؤقتٌ إلا الذي أفصح عنه القرآن نفسه أنه يخص عصرًا معينًا أو مناسبة معينة. وقال عليه السلام أيضا بأن النبي صلى الله عليه وسلم جاء بشريعة أخيرة في صورة القرآن الكريم، فلا بد أن يحتوي على جميع التعاليم الضرورية لكل عصر. ولقد حدد القرآن بنفسه

مواعيد العمل بتعاليمه وزمانها. وما أُلغي العملُ بأي تعليم من تعاليم القرآن الكريم قط، ولا يوجد به تعليم لا يمكن العمل به. ثم أعطى عليه السلام ردًّا تفصيليًا على الاعتراضات على وجود الملائكة وتعدد الزوجات والقضايا الأخرى المشابهة لها.

١٥- **الخطأ الخامس عشر** الذي وقع فيه الناس؛ عدّهم القرآن الكريم كتابًا مقدسًا دون أن يكون له دور في صلاح مختلف مجالات الحياة العصرية، مما أدى إلى عزوفهم الكامل عن تلاوته والتدبر في معانيه ومفاهيمه. فكانوا يضعونه في الأغلفة المزدانة المنمّقة أو يكتفون بقراءة بعض آياته. لم يكن هناك دروس للقرآن الكريم، ولا اهتمام بترجمة معانيه أيضا، وكانوا يعتمدون على التفاسير القديمة لمعرفة ترجمة معانيه عند لزوم الأمر. وإن المسيح الموعود عليه السلام لهو الشخصية المباركة التي قدمت القرآن في صورته الصحيحة ولفت انتباه الناس إلى قراءة ترجمة معانيه. كان القرآن الكريم يُستخدَم قبل بعثته عليه السلام من أجل أداء اليمين الكاذبة، أو كان يُقرأ على الموتى أو يوضع مغلّفًا بغلاف جميل في إحدى زوايا البيت.

أليس عجبًا أن الشعراء كتبوا قصائد لا حصر لها في حمد الله تعالى وفي مدح النبي صلى الله عليه وسلم ولكن لم يكتب أحد قصيدة في مدح القرآن الكريم،

وكان المسيح الموعود عليه السلام أول من كتب قصيدة رائعة في مدح القرآن الكريم حيث قال فيها:

جمال وحسنِ قرآں نورِ جانِ ہر مسلماں ہے

قمر ہے چاند اوروں کا ہمارا چاند قرآں ہے

أي: إن جمال القرآن وحُسنه بمنـــزلة نور وضّاء لروح كل مسلم، فليرض الآخرون بالقمر المادي أما نحن فبدرنا المنير هو القرآن الكريم.

من كان يريد قراءة أبياتٍ في حمد الله تعالى كان يجدها، ومن أراد إنشاد قصيدة في مدح النبي صلى الله عليه وسلم كان يجدها أيضا، إلا أن الناس ما كانوا يجدون قصيدة في مدح القرآن الكريم، فما كان حتى لأعدى أعداء المسيح الموعود عليه السلام إلا أن يقرأوا أبياته في مدح القرآن الكريم، وقد اعترفوا قائلين: لا شك أن الميرزا رجل سيئ لكن أبياته هذه رائعة، وهكذا أكّدوا أن المسيح الموعود عليه السلام هو من أعاد القرآن الكريم من الثُّريّا بكل معنى الكلمة.

الإنجاز الخامس

إزالة الأخطاء السائدة عن الملائكة

المنجز الخامس الذي قام به المسيح الموعود عليه السلام هو قيامه بإزالة الأخطاء الشائعة عن الملائكة.

١- كان البعض يقول إن القوى الإنسانية سُميت بالملائكة، إذ لاحاجة لله تعالى إلى وجود الملائكة.

أ- فلقد ردّ عليه السلام على هذه الشبهة وأخبر أن وجود الملائكة ليس وهميًا، بل وجودهم هام ومفيد في هذا الكون، فقال عليه السلام:

ليس الله تعالى بحاجة إلى وجود الملائكة ولكنه ضروري للناس. فمع أن الله تعالى قادر على إشباع الإنسان بدون طعام إلا أنه خلق المأكولات، ومع أنه قادرٌ على أن يحيي الإنسان بدون تنفس إلا أنه خلق الهواء، ومع أنه قادر على إرواء غليل الإنسان بدون ماء إلا أنه خلقَه، ومع أنه قادر على إبصار الإنسان بدون أضواء إلا أنه خلقها، ومع أنه قادر على إسماع الإنسان بلا واسطة الهواء إلا أنه خلق الهواء لنقل الصوت إلى الأسماع، ولا اعتراض على ما شاء وفعل، وعليه فلا وجه للقول بأن الله تعالى خلق الملائكة لأنه كان بحاجة إليها لإيصال كلامه إلى الناس. فلو تبين - من خَلْقِ الله تعالى للأسباب المتعددة - أن

الإنسان هو من كان بحاجةٍ إليها وليس الله تعالى، فكيف ثبت إذًا من خَلقِه الملائكةَ أنه كان بحاجةٍ إليها؟ فإنّ خلقَها أيضا كان لسد حاجة الإنسان وليس لسد حاجة الله تعالى.

ب- الرد الثاني الذي قدّمه عليه السلام هو: إن وجود الملائكة ضروري لرقي الإنسان العلمي والفكري والذهني.

أما الرقي العلمي فيتأتى من خلال اكتشاف الإنسان أمورا دقيقة وأسرارا مخفية، وهو يتطلب تدبير أمور الكون بطريقة لا تؤدي إلى ظهور النتائج فورًا بل تجعلها منوطة بالأسباب الخفية التي يكتشفها الإنسان فيحرز التقدم والتطور في المجال العلمي المطلوب. وكان ضروريًا أيضا ألا يكون مسار تقدم الإنسان محدّدًا من قبل فيسلكه غصبًا عنه، بل كان ينبغي أن يحدده بنفسه من خلال أعمال يقوم بها، والملائكة تمثل الحلقة الأخيرة من هذا النظام ومهمتهم هي الإدارة الصحيحة لهذا النظام وقوانينه التي سُميت بسنة الله. وبدون وجود الملائكة كان محالا استمرارُ سلسلة عمل المادة على النحو الذي تتم به الآن.

٢- الخطأ الثاني الذي وقع فيه الناس ظنهم أن الملائكة كالناس يتنقلون لإنجاز أعمالهم. فقال المسيح الموعود عليه السلام إنهم يعملون عن طريق التمثل بحيث إذا أُمروا بالظهور في مكان ما تمثّلوا فيه من دون أن يبرحوا مكانهم؛ فلو كانوا مضطرين لأداء مهامهم بالتنقل إلى مكانها لكان صعبًا على عزرائيل قبض أرواح كثير من البشر في آن واحد.

٣- الخطأ الثالث هو ظنهم أن الملائكة أيضا قد يرتكبون الإثم. فكانوا يعتقدون في قصة خلق آدم أن الملائكة اعترضوا على الله وقالوا لماذا خلقته؟ كذلك كانوا يظنون أن بعض الملائكة أُرسِلَ إلى الدنيا فعَشِقوا بغيّةً فعاقبهم الله تعالى ولا يزالون مقيدين في بئر ببابل. جاء المسيح الموعود عليه السلام وأثبت براءة الملائكة من هذه الاتهامات وأخبر أن الملائكة حلقة أولى من سلسلة قوانين الله تعالى، لا يتحلون بقوة لكسب الخير أو الشر، بل يفعلون ما يؤمرون ولا يحيدون عن ذلك قيد شعرة.

٤- الخطأ الرابع الذي وقع فيه الناس زعمهم أن وجود الملائكة أمر تافه وهو يشبه الحاشية التي يتخذها الملوك أو بعض كبار الناس حولهم، وكأن الله تعالى اتخذها كحاشية له. قال المسيح الموعود عليه السلام: ليس الأمر كذلك بل يعتمد عليها نظام الكون كله، ثم هي التي تلقي في قلوب الناس الخواطر الصالحة والحسنة، ويستطيع الإنسان إحراز الرقي والازدهار في العلوم الروحانية من خلال إنشاء العلاقة بها.

الإنجاز السادس

إزالة أخطاء الناس عن الأنبياء

المنجز السادس الذي قام به المسيح الموعود عليه السلام هو أنه أزال الأخطاء الشائعة في الناس عن الأنبياء.

١- **الخطأ الأول** الذي وقع فيه من يسمّون أنفسهم أهل السنة من المسلمين - باستثناء أولياء الله تعالى وبعض المتصوفة وأتباعهم الخواص — هو معارضتهم لعصمة الأنبياء، فبعضهم ينسبون إلى الأنبياء إمكانية ارتكاب الإثم ولكن معظمهم كانوا ينسبون إليهم آثامًا دون أن يشعروا بفداحة الأمر وشناعته.

فكانوا يقولون عن إبراهيم عليه السلام إنه كذب ثلاث كذبات، وعن يوسف عليه السلام إنه سرق، وعن إلياس عليه السلام بأنه تضايق من الله تعالى[7]، وعن داود عليه السلام إنه وقع في غرام زوجة أحد قادة جنوده وقرر الحصول عليها فأرسل زوجها إلى جبهة القتال فقُتل هنالك. ولقد تفاقم هذا المرض عندهم حتى لم تَسلم شخصية "سيد ولد آدم" صلى الله عليه وسلم أيضا من مثل هذه الاتهامات.

[7] يبدو أنه سهو، والمقصود يونس عليه السلام. (المترجم)

أ- لقد أخبر المسيح الموعود عليه السلام أن هذه الأفكار باطلة، وكشف بطلان هذه الأقاويل بطريقتين؛ إحداهما: أن المعرفة الكاملة تحرق الإثم وفق قانون قدرة الله تعالى، فمن وصل إلى درجة اليقين الكامل بأن هذا الشيء سامٌّ فلن يأكله. فإذا كنتم تؤمنون بأن النبي يحظى بالمعرفة الكاملة فإنه يتعارض مع قولكم بأنه قد يرتكب إثما، بل الحق أنه لا يمكن أن يصدر من النبي إثم.

ب- الغرض من بعثة كل نبي أن يكون نموذجًا للآخرين، وإلا فما الحاجة لمجيء المرسلين؟ ألا يستطيع الله تعالى أن يرسل كتابًا مكتوبًا لهداية الناس. ولا يُبعث نبي إلا ليعمل بكلام الله تعالى ويصبح أسوة كاملة للناس. فإن قلنا بأن النبي أيضا يمكن أن يرتكب إثمًا فما هي الأسوة التي يتأسى بها الناس. فالغرض من بعثة أيِّ نبي أن يعلّم الناس من خلال أعماله ما نُزّل إليه من أحكام من الله تعالى.

٢- **الخطأ الثاني** الذي وقع فيه الناس هو ظنهم بأنه لا يمكن أن يصدر من النبي خطأ اجتهادي. فمن العجيب جدًّا أنهم من ناحية كانوا يقولون بإمكانية صدور الإثم من النبي ومن ناحية ثانية يقولون باستحالة صدور خطأ اجتهادي منه. فلقد جعل المسيح الموعود عليه السلام من هذه القضيةً قضيةً علمية وقال:

أ- يمكن أن يصدر من النبي خطأ اجتهادي بل هو نوع ضروري حتى ينكشف أن نوعية الكلام النازل على النبي ليس منه بل أنزلَتْه عليه

ذات أسمى وأعلى منه. لأنه ما من أحدٍ يخطئ في فهم كلام نفسه، ولا يسعه القول بأني فهمت لاحقا من كلامي غير الذي فهمته عند التكلم به. فخطؤه الاجتهادي دليل على أن هذا الكلام ليس من عند نفسه. فقال عليه السلام لا بد من صدور خطأ اجتهادي من النبي ليكون دليلا على صدق دعواه.

ب- لا يقتصر الأمر على صدور الخطأ من النبي بصورة اجتهادية فحسب بل أحيانًا يجعله الله تعالى يخطئ، وذلك ليصطفيه ويرفع درجته الروحانية، ومثاله رؤيا إبراهيم عليه السلام فلم يُرِهِ اللهُ تعالى ذبحَ ابنه ليقوم إبراهيم بقتله، لأنه لو كان هو المراد لما منعه الله تعالى من ذلك عندما استعد لذبحه، بل الحقيقة أن إبراهيم أُرِيَ الرؤيا بهذا الطريق حتى يظهر إيمانه، فلما مال نحو تحقيق معانيه الظاهرة كُشِفت له حقيقتها، أي لما استعد لذبح ابنه حقيقةً أُخبِر أنه لم يكن مقصودًا. ولم يفعل الله ذلك إلا ليخبر العالم أن إبراهيم عليه السلام مستعد للتضحية بابنه الوحيد الذي ولد له في شيخوخته.

هناك نوع آخر للأخطاء الاجتهادية وهو أخطاء تعدّ ابتلائية. أي يُبتلى فيها بعض الناس، وذلك كما حدث عند صلح الحديبية، حيث كان النبي ﷺ قد رأى في الرؤيا أنه يطوف بالكعبة، وكان المراد منه أن يطوف بها في العام المقبل، ولكنه ارتأى أن يخرج في تلك السنة لأداء العمرة، فخرج مع جماعة كبيرة من الصحابة، ومع ذلك لم يظهر الله

تعالى للنبي ﷺ حقيقة هذه الرويا، ثم لما مُنع المسلمون من أداء العمرة أصابت بعض الصحابة حيرة وذهول شديدان، بل جعل بعض ضعاف الإيمان يسخرون ويستهزئون، وكان ذلك ابتلاءً لإيمان المؤمنين والمنافقين وللتمييز بينهم.

اعلموا أنه لا يتعرض نبي لخطأ اجتهادي في فهم وحي الله تعالى إلا إذا كانت كلماته تعالى بطبيعتها تحتاج إلى تأويل وتفسير، كما أنه لا يخطئ في فهم المراد من المشهد الذي يراه إلا إذا كان المشهد بحاجة إلى تفسير. فلو كان الوحي نتيجة لأفكار ذهنية لأنتج الذهن كلمات واضحة صريحة ولما احتاجت الكلمات والمشاهد إلى تفسير، لأنه لا يمكن أن يتعمد أحد اختراع مشاهد تحتاج إلى تفسير وتأويل، فما علاقة الدماغ بإراءة القحط في صورة بقراتٍ عجاف؟ إن صدور الخطأ الاجتهادي يقضي على أن يكون الوحي نتيجة للابتكار الذهني. كما أن هذا الشرح يقضي على جميع البحوث الجديدة التي تجري حاليًا في أوروبا حول ماهية الوحي الذهني، فبوجود الخطأ الاجتهادي الذي يُبقي باب التفسير الدقيق مفتوحًا يستحيل أن يُعدَّ الوحي من اختراع ذهن الإنسان؛ فلو كان بالذهن اختلالٌ لكان الوحي أيضا مشتتا وناقصا ومشوّهًا، أما لو كان نتيجة الابتكار الذهني لكان صافيًا وبكلمات واضحة دون حاجة إلى التفسير أو التأويل.

٣- **الخطأ الثالث** الذي وقع فيه الناس كان يتعلق بشفاعة الأنبياء، وكان على شقَّين اثنين وهما:

أ- كان بعضهم يظنون أنه ستُغفر كل ذنوب الإنسان بالشفاعة؛ فليفعل ما يشاء، حتى قال أحد الشعراء بالفارسية:

مستحق شفاعت گناہگاراں اند

أي أن الآثمين وحدهم يستحقون الشفاعة.

ب- والبعض الآخرون كانوا يظنون على عكس ذلك بأن الشفاعة شِرك، وهي تخالف صفات الله تعالى.

لقد صحح المسيح الموعود عليه السلام هذين الخطأين، وشرح الشفاعة على أنها لا تكون إلا في حالات خاصة جدًّا ولا تتأتى إلا بإذنٍ من الله تعالى، فلا يصح الاتكال على الشفاعة. ولا يحظى بها الإنسان إلا إذا بقي في أعماله قصورٌ ما رغم استنفاد الجهود. كما لا يحظى بها الإنسان ما لم يتصبّغ بصبغة الشفيع، لأن معنى الشفع الزوجان، فلا يُغفَر لأحدٍ بالشفاعة ما لم يصبح مثيلا للشافع ومتصبغًا بصبغته.

أما الذين يقولون إن الشفاعة شرك فقد ردّ عليهم المسيح الموعود عليه السلام قائلا: لو كانت الشفاعة تتم من خلال إصدار أوامر، أي لو كان النبي ﷺ يأمر الله تعالى ليغفر لفلان لكان ذلك إشراكًا بالله تعالى، ولكن الله تعالى يقول بأنه لا تكون الشفاعة إلا بإذنه، أي أنه سيأمرُ الرسولَ

بها وعندما يأمره الله تعالى بالشفاعة فلا يُعَد ذلك إشراكًا بالله، ولا يؤدي إلى حجب صفة من صفات الله تعالى.

لقد أثبت عليه السلام أن الشفاعة ليست جائزة فحسب بل هي ضرورية للرقي الروحاني. ولا يمكن تصور نجاة العالم بدونها وذلك لأن الكمالات توهبُ عن طريق الوراثة وفق القانون الإلهي. وإن قال أحد: نرى أن والد فلان لم يصلّ قطّ ولكن ابنه مواظب على الصلوات، فكيف يعقل أنها انتقلت إلى ابنه وراثةً؟ فليعلم أن الوالد كان يتمتع بملكة المواظبة على الصلاة التي انتقلت إلى ابنه، فلو لم تكن فيه هذه الملكة لما انتقلت إلى ابنه. مثلا لا تتحلى الجاموسة بهذه الكفاءة، لذلك فلا يتمتع بها عجل الجاموسة حتى يتمكن من المواظبة على الصلاة. فالحق هو أن الكمالات توهب للإنسان عن طريق الوراثة.

فإذا كانت الكمالات الجسمانية أيضا تُنال بالوراثة فلا يمكن أن تعطى الكمالات الروحانية أيضا بدونها لمن لا يكون على درجة آدم. فإن الله تعالى يبعث أنبياءه للناس الذين لا يستطيعون إحراز الكمال بأنفسهم، أي يخلق الله تعالى ناسًا يجعلهم أوادمَ ثم يلقي عليهم فيوضًا روحانية من السماء، فيتلقى منهم الناس فيوضًا روحانية تُحوِّلهم إلى ذريتهم الروحانية، وينالون النجاة. وبذلك فإن الشفاعة توافق قوانين الله تعالى ولا تخالفها.

٤- **الخطأ الرابع** الذي وقع فيها المسلمون عن الأنبياء هو ما يتعلق باعتقادهم عن المسيح الناصري عليه السلام. كانت أخطاء كثيرة تحوم حول شخصية المسيح، والعجب أن شعوبًا أخرى غير المسلمين أيضا قد وقعوا في أخطاء كثيرة عن المسيح الناصري عليه السلام. فجاء المسيح الموعود عليه السلام وأزال جميع هذه الأخطاء.

الخطأ الأول كان يتعلق بولادة المسيح الناصري. فقد وقع المسلمون وغيرهم في خطأ أن ولادة السيد المسيح كانت أسمى من الولادة الإنسانية، وأن خلقه بروح الله وكلمة الله يجعله مثالا يندر له نظير. وأدى هذا الخطأ إلى أن أشرك بالله الكثيرون. فقال المسيح الموعود عليه السلام عن هذا الأمر بأن الأنبياء جميعَهم كانوا يتمتعون بروح الله تعالى وكانوا كلمة الله أيضا، ولكن بما أن المسيح عليه السلام قد تعرض لاعتراض شنيع بأنه ولد زنى - والعياذ بالله - لذلك استخدمتُ هذه الكلمات لإظهار براءته، وإلا فكان جميع الأنبياء روح الله وكلمة الله. لقد نفى الله تعالى في القرآن الكريم كُفرَ سليمان بقوله: ﴿وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَانُ﴾ (البقرة: ١٠٣)، فلا يمكن أن يُستنتج منه أن سليمان عليه السلام وحده لم يكفر أما بقية الأنبياء فقد كفروا! أما سبب ورود نفي كفره فهو لأنه اتُهم بالكفر لذلك رُدّ على هذا الاتهام، ولم تكن هناك حاجة لنفي الكفر عن الأنبياء الآخرين لأنهم لم يتعرضوا لمثل هذا الاتهام.

كذلك كان المسيح عليه السلام الذي يقول عنه بعض كبار مشاهير المسيحيين – ناهيك عن اتهام اليهود – بأنه كان ثمرة البغاء، والعياذ بالله، ولكن ما ذنبه في هذه القضية كلها؟ وقد كتب أحد أشهر المسيحيين "تولستوي" إلى المفتي محمد صادق وقال: إن أقوال السيد الميرزا كلها معقولة ولكن لم أفهم قصده من عدِّ ولادة المسيح بدون أب، فلو كان المراد منه تنـــزيه ولادته من الوصمة المعروفة، فما ذنب المسيح فيها؟ باختصار، إن اليهود يعترضون على ولادته ويعدّونها ولادة شيطانية، ولما كان بعض المسيحيين أيضا سيشاركونهم هذا الرأي لذلك فقد برأه الله تعالى إذ قال بأنه خُلق بروح الله و لم يكن نتيجة الإثم أو أيِّ فعلٍ مخالف لشريعة الله تعالى، بل كان خلقه موافقًا لكلمة الله تعالى. فإنّ ذكرَ المسيح عليه السلام بلفظ "روح الله" و"كلمة الله" ليس تعظيمًا له وإنما لإظهار براءته.

وقال عليه السلام أيضا بأنه ليس من سبب يضطرنا لعدِّ ولادة المسيح خارقة للسنن الإلهية، بل يمكن أن تحدث مثل هذه الولادة لأناس آخرين أيضا، أما الحيوانات فإنها حادثةٌ فيها سابقًا. أما السؤال: لماذا خلقه الله تعالى بدون أب، لماذا لم يخلقه من أب، فقد ردّ عليه المسيح الموعود عليه السلام وقال: لقد تواتر مجيء الأنبياء في بني إسرائيل وفق نبوءات إبراهيم عليه السلام إلا أن بني إسرائيل لم يكفّوا عن شرورهم، فلما تفاقم شرهم نبّههم الله تعالى مرة أخيرة بولادة المسيح فيهم وأخبرهم بأنه قد تغاضى

عن جرائمهم سابقًا وأرسل لهم الأنبياء من بين بني إسرائيل، ولكنه الآن يرسل شخصًا ينتمي إلى بني إسرائيل من ناحية الأم فحسب، فإن لم ترتدعوا بعده أيضا فسيأتي مَن لا يكون مِن بني إسرائيل مِن ناحية الأم والأب كليهما. فلما لم يستفد بنو إسرائيل من هذا التنبيه وازدادوا شرًّا، بعث الله تعالى النبي ﷺ الذي لا علاقة له ببني إسرائيل البتة.

فلم تكن ولادة المسيح بلا أب رحمة ببني إسرائيل بل كانت إنذارًا لهم، ثم تحقق ما أُنذروا به.

الخطأ الثاني الذي وقع فيه المسلمون بشأن المسيح الناصري عليه السلام هو ظنهم أنه لم يسلَم من مسّ الشيطان أحد من البشر إلا عيسى وأمه. فأخبر المسيح الموعود عليه السلام أن جميع الأنبياء بل المؤمنين أيضا معصومون من مس الشيطان، فقد أُمر المؤمنون عند إتيانهم أزواجَهم أن يدْعوا بهذا الدعاء: "اللَّهُمَّ جَنِّبْنَا الشَّيْطَانَ وَجَنِّبِ الشَّيْطَانَ مَا رَزَقْتَنَا." (البخاري، كتاب الوضوء) ونتيجةً لهذا الدعاء ستكون ذريتهم في معزلٍ عن مس الشيطان. ولقد علَّمنا النبي ﷺ هذا الأصل للوقاية من مس الشيطان. فإذا كان أفراد الأمة المحمدية معصومين من مس الشيطان فلماذا لا يكون الأنبياء كذلك وعلى رأسهم "سيد ولد آدم" ﷺ؟ ووضح عليه السلام أن ما ورد في بعض الأحاديث أن المسيح ووالدته كانا معصومَين من مس الشيطان سببه تعرُّض المسيح لتهمة أنه ولد زنى، فقد ردّ النبي ﷺ هذه التهمة وقال بل كان منـــزهًا من مسّ الشيطان أي لم تكن ولادته

شيطانية. أما ما ورد في الأحاديث عن عصمتهما من مسّ الشيطان فليس المراد منه المسيح ومريم فحسب بل كلّ من هو على شاكلتهما. ولقد ذُكر هذان الاسمان في سورة التحريم مثلاً مما يعني أنه صار من مصطلحات الإسلام أنه يسمي الله فئة من المؤمنين "مريم" والآخر "مسيحًا".

الخطأ الثالث عن المسيح الذي تعرض له الناس كان يتعلق بمعجزات المسيح عليه السلام، فمثلا كان الناس يقولون إن المسيح قد أحيا الأموات، وخلق الطيور. ولقد صحح المسيح الموعود عليه السلام هذه الأخطاء أيضا، ووضح أن الله تعالى لا يعطي صفاته لأحد. ولقد ورد في القرآن الكريم بيان صريح أن الخَلْق وإحياء الأموات أمران يقتصران عليه عز وجل، بل يقول القرآن عن إحياء الموتى أنه تعالى أيضا لا يقوم به في هذه الدنيا. فإن الظن بأن المسيح الناصري عليه السلام قد أحيا الأموات أو خَلَقَ بعض الطيور والحيوانات لهو ظنّ خاطئ جدًّا. أما من ناحية الروحانية فلا شك أن المسيح قد قام بمثل هذه الأمور أو أرى بعض الآيات من خلال عمل التِرب[٨] أو شُفي بدعائه من كان قد أشرف على الموت.

[8] لقد عرف المسيح الموعود عليه السلام عمل الترب في كتابة إزالة الأوهام مفصلا. ومما ورد فيه أنه يُسمَّى في الأيام الراهنة بالمسمريزم، ويضم في طياته أمـورا عجيبـة وغريبة بحيث إن المتمرسين فيه يُلقون طاقتهم الحيوية على الأشياء الأخرى فتبدو

الخطأ الرابع الذي وقع فيه الناس بخصوص تعاليم المسيح كان ظنّهم أنها أعلى وأكمل التعاليم السماوية، ومن هذه التعاليم قول المسيح عليه السلام: "مَن لطَمك على خدّك الأيمن فحَوِّلْ لــه الآخرَ أيضًا" (متى ٥: ٣٩)، وكان يقال إنه تعليم يتسم بالحلم ولا يمكن أن يُتصور تعليم أخلاقي أفضل منه. فقال المسيح الموعود عليه السلام: يمكن أن يكون هذا التعليم صالحًا لقوم معين ولوقت معين إلا أنه لا يصلح لجميع الأقوام وكافة الأزمان، وبالتالي لا يُعدُّ أكمل التعاليم. وكان السبب في إعطاء الله تعالى مثل هذا التعليم هو سيرة اليهود التي دأبت على القسوة والشدة إذ كانوا يمارسون أفظع أنواع الظلم؛ فقد أعطاهم الله تعالى بواسطة المسيح تعليما يتسم بالرفق واللين إلى أبعد الحدود وذلك لتخفّ قسوتهم وإلا فلا يمكن العمل بهذه التعاليم عند كل مناسبة.

وبهذه المناسبة تذكرت قصة حدثت في مصر. وهي أنه يُحكى أن أحد القساوسة كان يلقي كلمة في الجمهور ويقول: لاحظوا ما أروع التعليم الذي جاء به المسيح حيث قال: "مَن لطَمك على خدّك الأيمن فحَوِّلْ لــه الآخرَ أيضًا". وفي أحد الأيام خرج أحد المصريين المسلمين من بين الجمهور ولطم القسيس على وجهه، فغضب غضبًا شديدًا، وهبّ لضربه. فقال له المسلم كان ينبغي أن تحوّل إليّ خدّك الآخر أيضا

كأنها حية. إن في روح الإنسان ميزة بحيث تستطيع أن تُلقي بطاقتها الحيوية على جماد لا حياة فيه قط، فتصدر من ذلك الجماد حركات مثل الأحياء. (المترجم)

عملا بتعليم المسيح حتى ألطمَه أيضا؛ فردّ القس قائلا: كلا، لن أعمل بتعليم المسيح الآن بل سأعمل بتعليم الإسلام وإلا ستتجرأون كثيرًا على مثل هذه التصرفات. فلا يمكن العمل بهذا التعليم دوما كما يخبرنا العقل الإنساني ويشهد على ذلك عملُ المسيحيين أيضا.

باختصار فقد أثبت المسيح الموعود عليه السلام أن تعليم المسيح كان ناقصًا ولا يمكن العمل به في جميع العصور والأزمنة، كما أثبت أن تعليم القرآن الكريم كامل وصالح لجميع الأزمان والأوقات.

الخطأ الخامس كان يتعلق بحادث صلب المسيح عليه السلام وقد وقع فيه المسلمون واليهود والمسيحيون على حد سواء. كان المسلمون يقولون: عَلَّق اليهودُ على الصليب رجلاً آخر بدلا من المسيح، أما المسيح فقد رفعه الله إلى السماء. وكان اليهود والمسيحيون يقولون إن المسيح صُلب ومات على الصليب. لقد رد المسيح الموعود عليه السلام على ظنون المسلمين قائلا: كان من الظلم الصريح تعليق أحد آخر على الصليب بدلا من المسيح، وإذا كان هذا الرجل عُلّق بناءً على رغبته فلا بد أن يثبت ذلك تاريخيًا. ثم لو أراد الله تعالى رفع المسيح إلى السماء لما كانت هناك حاجة لتعليق أحد غيره على الصليب، فمن الخطأ القول إن أحدًا آخر عُلّق على الصليب بدلا من المسيح أو رُفع المسيح إلى السماء. ومن ناحية ثانية ردّ على ادعاء اليهود والمسيحيين أن المسيح مات على

الصليب وأثبت أنه أُنزل من على الصليب حيًّا وهكذا نجاه الله تعالى من الميتة اللعينة التي أرادها له اليهود.

انظروا الآن ما أعظم هذا الإنجاز الذي قام به المسيح الموعود عليه السلام إذ كشف حقيقة هذا الحادث بعد مضي ألف وتسعمئة سنة. وتزداد أهمية هذا الإنجاز عندما نلاحظ أنه عليه السلام قدم أدلة من الأناجيل على نجاة المسيح من الموت على الصليب. على سبيل المثال: طلب الفرّيسيّون من المسيح آيةً فَأَجابَ وَقَالَ لَهُمْ: "جِيلٌ شِرِّيرٌ وَفَاسِقٌ يَطْلُبُ آيَةً، وَلاَ تُعْطَى لَهُ آيَةٌ إِلاَّ آيَةَ يُونَانَ النَّبِيِّ. * لأَنَّهُ كَمَا كَانَ يُونَانُ فِي بَطْنِ الْحُوتِ ثَلاَثَةَ أَيَّامٍ وَثَلاَثَ لَيَال، هكَذَا يَكُونُ ابْنُ الإِنْسَانِ فِي قَلْبِ الأَرْضِ ثَلاَثَةَ أَيَّامٍ وَثَلاَثَ لَيَال." (مَتَّى ١٢ : ٣٩-٤٠)

ويثبت من التوراة أن يونس مكث في بطن الحوت حيًّا ثلاثة أيام، ثم خرج منه حيًّا، وعليه فكان لا بد أن يحدث مثل ذلك في حادثة الصليب وهو أن يكون المسيح حيًّا عند دخوله القبر وعند خروجه منه. فإن الظن بأن المسيح قد مات على الصليب يخالف صريح الإنجيل، بل يؤدي إلى تكذيب المسيح نفسَه.

إنها لحربة عظيمة للمسيح الموعود عليه السلام مقابل المسيحية بحيث تكفي لوحدها لإثبات عظمته عليه السلام، إلا أنه لم يتوقف عند هذا الحد، بل أثبت من الوقائع التاريخية أيضا أن المسيح الناصري قدِمَ إلى كشمير بعد حادثة

الصليب وأقام فيها وتوفي وفاة طبيعية. فكأنه بهذا الاكتشاف أخرج حياة المسيح الناصري من ستائر الخفاء وأظهرها للعيان.

الخطأ السادس كان يتعلق بحياة المسيح ومجيئه الثاني. فلقد أظهر عليه السلام خطأ هذا الظن وأخبر بأنه يسيء إلى الله تعالى بحيث ينسب إليه أنه يحتفظ بشخص سبق أن بعثه لإنجاز مهامه ولا يستطيع خلق شخص جديد لها، فهل يعدّ غنيًّا مَن يحتفظ بخبز الصباح ويأكله عند المساء، كلا، بل هو دليل على فقره. فمن يقول بأن الله تعالى استبقى المسيح ليعود ويصلح الأمة المحمدية إنما يعني قوله -والعياذ بالله- أن إنسانًا كالمسيح خلق بيد الله صدفة فاحتفظ به ليترله عند اشتداد الفتن، ولكن ذلك ليس صحيحًا. فكما أن الأغنياء يوزعون على الفقراء ما يتبقى من طعامهم ويصنعون طعامًا جديدًا عند حاجتهم له ثانية، كذلك يخلق الله تعالى رجالا جددًا في كل عصر وفق مقتضياته ومتطلباته. ثم إذا أراد الله تعالى أن يحتفظ بأحد لاحتفظ بإنسان مثل محمد ﷺ، ولكنه تُوفي، فهل من أحد في العالم يرمي الدواء الأنجع والأعلى ويحتفظ بالأدنى؟ فلماذا إذًا استبقى الله تعالى عيسى بدلا من سيدنا محمد ﷺ؟

كما أخبر عليه السلام أيضا أن في استبقاء عيسى حيًّا ثم إرساله لإصلاح الأمة المحمدية إساءة كبيرة إلى النبي الكريم ﷺ. لقد كان النبي ﷺ هو المعلم الأكبر، وكانت مهمته أن يخلق أرقى التلاميذ وأجودهم، ولكنهم يقولون: لن يستطيع هدي محمد ﷺ - في زمن اشتداد الفتن في أمته -

خَلْقَ تلميذ كفؤ لدرء هذه الفتن بل سيؤتى بعيسى الطَّيِّلاِ - الذي كان من أمة موسى الطَّيِّلاِ - ليقوم بهذه المهمة. كما أن هذا الاعتقاد يتضمن إساءة إلى الأمة المحمدية أيضا، لأنه يتلخص في أنها ستبدو فاشلة إلى أبعد الحدود عند هذه المرحلة المصيرية الحاسمة، حتى إن الدجاجلة الكُثر سيخرجون منها، أما المسيح فسيأتيها من أمة أخرى.

كما وضح الطَّيِّلاِ أيضا أن هذه العقيدة التي اختُرعت لرفع شأن المسيح إنما تسيء إلى المسيح نفسه لأنه كان نبيًّا مستقلا، فإنّ مجيئه مرة أخرى يعني أنه سيتخلى عن هذه النبوة ويضطر ليكون نبيًّا تابعا[٩].

[9] كل الأنبياء السابقين كانوا مستقلين سواء كانوا أصحاب شريعة أو تابعين لشريعة أنبياء قبلهم، ولكن بعد بعثة النبي ﷺ انقطعت النبوة المستقلة، ولم يبقَ سوى النبوة الظلّيّة التي لا ينالها المؤمن إلا بالفناء في النبي ﷺ. (المترجم)

الإنجاز السابع

تصحيح الأخطاء المتعلقة بالمعجزات

الإنجاز السابع الذي قام به المسيح الموعود عليه السلام هو تصحيحه لأخطاء تتعلق بفهم المعجزات. كان العالم فيما يتعلق بالمعجزات منقسمًا إلى مجموعتين: بعضهم كانوا ينكرونها كليًّا، وبعضهم كانوا يؤمنون بصحة كل قصة وخرافة ويحسبونها معجزة. فأما منكرو المعجزات فقد أسكتهم عليه السلام بتقديم معجزاته المصحوبة بالأدلة المقنعة الأخرى، وقام بإعلان ما يلي:

کرامت گرچہ بے نام ونشان است

بیا بنگر زِ غلمانِ محمد (ﷺ)

أي: لا شك أن الكرامات والخوارق قد اختفت اليوم من العالم غير أنك تستطيع أن تراها على يد خُدّام محمد ﷺ.

أما الذين كانوا يحسبون كل غث وسمين من القصص والحكايات معجزة فقد قال لهم عليه السلام إن المعجزة هي أمر خارق للعادة، ولا بد من الأدلة الخارقة لإثبات الأمور الخارقة. فلا تقبل المعجزات إلا:

١) التي ورد ذكرها في كتاب موحى به، أو هناك دليل تاريخي قوي يؤيدها.

٢) أو التي لا تخالف سنة الله تعالى المنصوص عليها، مهما أثارت العجب. مثلا: يقول الله تعالى لا يمكن أن يعود الميت إلى الحياة في هذا العالم. فلو قال أحد إن أحد الأنبياء أو الأولياء أحيا ميّتًا فلا نعدّ ذلك معجزة لمخالفته صريح القرآن الكريم لأن الذي يُري هذه المعجزة قال بأنه لن يحيي الميت في هذه الدنيا.

والعجيب أن المسلمين يعتقدون بأنه ليس عيسى عليه السلام وحده أحيا الأموات بل هناك أولياء آخرون أيضا. أما الهندوس فقد سبقوهم في هذا الاعتقاد. وقد اشتهرت لدى المسلمين روايات تقول إحداها: قُدّم لأحد الصلحاء ديك مشوي فأكل لحمه بنهم ثم جمع عظامه في يده وضغط عليها قليلا فتحولت إلى ديك حيٍّ يصيح. ولكن الهندوس أتوا بغرائب أكثر منهم فقالوا مثلا: كان أحد الريشيين[١٠] مارًّا في الطريق إذ رأى امرأة جميلة فحاول مراودتها عن نفسها إلا أنها لم ترغب فيه لشقائها، ولكن أثناء ذلك حدث لدى الريشي إنزال طفيف فخلع إزاره ورمى به، وبعد قليل ولد صبي من إزاره لأن نطفة الريشي لا تضيع.

كذلك يقولون عن الطائر الصغير "نِيل كنث" أنه شرب مياه أحد الأنهار كلها، وأكل جميع الناس الموجودين في موكب إحدى الزيجات، والعجب أنه مع كل ذلك كان ضامر البطن.

---

10 الريشيون هم أربعة أشخاص نـزل عليهم كتاب الهندوس "الفيدا" في بداية الكون بحسب اعتقادهم. (المترجم)

فمن أين للمسلمين بمثل هذه المعجزات؟ ولا خير لهم إلا أن يقبلوا الشروط التي وضعها المسيح الموعود عليه السلام للمعجزات، وإلا فلا يحق لهم أن يطالبوا الناس بالإيمان بمعجزاتهم في حين أنهم يرفضون معجزات الآخرين.

٣) الشرط الثالث الذي ذكره المسيح الموعود عليه السلام هو أنه لا بد أن يكتنف المعجزة شيءٌ من الخفاء، وإلا تفقد غايتها التي تتلخص في خلق الإيمان في النفوس. مثلا لو جاء عزرائيل وقال آمنوا بنبوة فلان وإلا فسأقبض أرواحكم فسيؤمن به الجميع ولكن لا فائدة من هذا الإيمان. فلا بد من لطف الرمازة والخفاء في المعجزات لأنها تظهر من أجل خلق الإيمان، فلو لم يبق فيها الخفاء اللطيف لما أفاد الإيمان بها شيئا، ولكن يجب أن لا تكون خفيّة جدًّا بحيث لا ترتقي إلى درجة الدليل والبرهان أيضا، لأنها في هذه الحالة لن تكون حجة على الناس.

٤) الشرط الرابع هو أن تستهدف المعجزة نفعًا معينًا، وذلك لأن المعجزة ليست عبثية ولا تُرى كأعمال الشعوذة بل تظهر لتحقيق غاية معينة وهدف خاص. فلا اعتبار إلا لمعجزة لها هدف معين ثم تحقق فائدة معينة وإلا فلا يمكن نسبتها إلى الله تعالى.

الإنجاز الثامن

إقامة عظمة الشريعة

الإنجاز الثامن الذي قام به المسيح الموعود عليه السلام هو إقامة عظمة الشريعة. كانت عظمة الشريعة قد تلاشت عند المسلمين وغير المسلمين على حد سواء، وأقيمت بواسطة المسيح الموعود عليه السلام.

١- **الوسوسة الأولى الكبرى** التي نشأت في أذهان الناس عن الشريعة هي ظنهم أنها لعنة وغرامة وعبء. كان المسيحيون يقولون أن يسوع المسيح جاء لينقذ الناس من الشريعة، وكأن الشريعة كانت غرامة ولعنة حتى جاء المسيح لإنقاذ الناس منها، في حين أن الشريعة تنزل لهداية الناس، فهل من عاقل يعدُّ الهداية غرامةً؟ أو هل الذي دلّه غيره على الصراط السوي يقول بأنه عرّضني لغرامة. وكان المسلمون أيضا يحسبون الشريعة غرامة وعبئًا لذلك حاولوا اختراع حيلٍ للتنصل من أحكام الشريعة، ووصل بهم الأمر درجةً حتى ألف بعضهم كتابًا للحيل. فلو لم يحسبوا الشريعة لعنة لما تحروا حِيَلا لعدم العمل بها. ربما كان الوهابيون بعيدين نوعًا ما عن هذه السيئة أما الفِرق الأخرى فقد اخترعوا حيلا عجيبة غريبة. مثلا ورد في أحد كتب الفقه المعروفة أن ذبح الأضحية بعد صلاة العيد سنة، ولكن لو اضطر أحد لذبحها قبل

صلاة العيد فعليه أن يتوجه إلى قرية مجاورة للمدينة ويذبحها هناك ويأتي بلحمها إلى المدينة، وذلك لأن العيد عندهم لا يكون إلا في المدينة، وأنّ شرط ذبح الأضحية بعد الصلاة يتعلق بالعيد في المدينة فحسب!

باختصار، اقتصر عمل المشايخ في الماضي على تعليم الناس حِيَلاً، كما اقتصرت أسئلة الناس على الحيل الشرعية. وهناك حكاية معروفة من هذا القبيل أن بعض الشباب أكلوا لحم حمار ميت، فقال لهم الشيخ إنهم ارتكبوا ذنبًا كبيرا، فعلى آباء الشباب أن يقيموا جِذعًا ثم يغمروه بالخبز، ثم يوزع هذا القَدْر من الخبز على الفقراء. وهنا أُخبِر الشيخ أن ابنه أيضا من بين الشباب المذكورين، فقال لهم رويدكم حتى أعيد التفكير في الأمر، ثم قال لا حاجة لتقيموا الجذع بل يكفيكم أن تتركوه على الأرض وتغطوه بطبقة رقيقة من الخبز.

٢- **الوسوسة الثانية** التي بدأت تنشأ لدى المسلمين هي قولهم: ليست الشريعة هي الهدف الأساس بل الهدف الأساس هو وصول الإنسان إلى الله تعالى، فإن وصل الإنسان إلى الله تعالى فلا حاجة به إلى أن يعمل بمقتضيات الشريعة.

كان هذا المرض خطيرًا جدًّا وأصبح ينتشر بين الناس لدرجة أصبح المتصوفون يتركون العمل بأحكام الشريعة، وإذا سألهم المسلمون عن عدم عملهم بأحكامها قالوا: لقد وصلْنا إلى الله تعالى فلا حاجة بنا إلى العمل بأحكام الشريعة. ذات مرة جلستُ بعد صلاة الجمعة قليلاً وفي

هذه الأثناء جاءني أحد هؤلاء المبتدعين وسألني: إذا وصلت السفينة إلى الساحل فهل ينبغي لراكبها أن ينـــزل منها أم عليه ألا يبرحها؟ وكان قصده أنّ مَن فاز بلقاء الله تعالى فلا حاجة به إلى العمل بأحكام الشريعة. فأدركت قصده فورًا وأجبتُه: إذا كان لذلك البحر ساحل ووصلت السفينة إليه فعليه أن ينـــزل منها، وأما إذا كان بحرًا لا شاطئ له فأين سينـــزل؟ بل حيثما نزل من السفينة غرق. فبُهت. وكان قصدي من هذا الرد أن قرب الله تعالى ليس شيئا محدودًا حتى يقال بأن أحدًا ناله فلا يحتاج إلى الشريعة. ولقد ردّ المسيح الموعود عليه السلام على هذه الشبهة أيضا وقال لا شك أن الهدف الحقيقي للإنسان هو الوصول إلى الله تعالى وليس هو دوام العمل بالشريعة ولكن مدارج الوصول إلى الله تعالى لا تعد ولا تحصى ولن تنتهي ولو تدرج بها الإنسان إلى يوم القيامة. فلو قال أحد بأنه تخطى جميع مدارج الوصول إلى الله تعالى ولا توجد درجة أعلى بعدها فكأنه عدَّ الله تعالى محدودًا! وهذا لا يعتقد به أحد. فإذا كانت مدارج قرب الله تعالى لا تعد ولا تحصى فلا يسوغ لأحد الإعراض عن الوسيلة (الشريعة) التي تُنال بواسطتها تلك المدارج.

٣- **الوسوسة (الشبهة) الثالثة** التي وقع فيها الناس هي عدّهم جميع أعمال الرسول صلى الله عليه وسلم جزءًا من الشريعة، لذلك إذا رأى المشايخ أحدًا لابسًا سروالًا مسبلا حتى قدميه قال: إنه كافر، وإذا رأى أحدًا يغسل يديه بعد الطعام كفّره بحجة أنه يخالف سنة النبي صلى الله عليه وسلم. والحقيقة أن كثيرًا

من التوابل والبهارات لم تكن تُستخدم في الطبيخ زمن الرسول ﷺ، حيث كانوا أحيانًا يأكلون الخبز بزيت الزيتون، وكانوا يستخدمون هذا الزيت نفسه لدهن شعرهم أيضا لذلك كانوا بعد أكل الطعام يمسحون به وجوههم أيضا. أما الآن فتستخدم في الطبيخ أنواع من البهارات كالكُركم وغيره؛ ومع ذلك فعديد من المشايخ لا يزالون يعدّون من السنة مسح وجوههم بأيديهم بعد تناولهم مثل هذا الطعام. نقول لهم: يمكنكم أن تفعلوا ذلك إذا كنتم تأكلون طعامكم بزيت الزيتون، بل نحن أيضا مستعدون لذلك، ولكنكم لا تأكلون الطعام ما لم يوضع فيه بهارات كالكركم والفلفل الحار، فأنى لأحد أن يمسح بها وجهه! دعوت أحد المشايخ على الطعام مرة، فلما جيء بإناءٍ لغسل الأيدي بعد الطعام دفعه بكل ازدراء وقال هذا مخالف للسنة لذلك لن أغسل يدي، ثم مسح وجهَه بيديه الملطختين بالطبيخ. الحقيقة أن غسل اليدين لا يخالف السنة؛ فقد ورد في الحديث النبوي الشريف بصراحة أن من تعاليم الإسلام غسل اليدين قبل الطعام وبعده.

لقد ردّ المسيح الموعود عليه السلام على هذا الخطأ وقال بأنّ أفعال النبي ﷺ وأعماله أنواع، منها:

١) ما فعله النبي ﷺ وداوَم عليه وأمرَ به أتباعه بعد أن وَضَّحَ لهم طريقَه الذي يجب أن يتبعوه، فإن العمل به واجبٌ.

٢) الأعمال التي كان يقوم بها النبي ﷺ عمومًا وينصح بها الآخرين أيضا، وهذه سنة.

٣) الأعمال التي كان النبي ﷺ يقوم بها إلا أنه كان يقول للآخرين لو قمتم بها فإنها جيدة وحسنة، وهذا ما يسمى بالمستحب.

٤) الأعمال التي قام بأدائها بطرق مختلفة، فيجوز العمل بها بجميع هذه الطرق.

٥) الأعمال التي تتعلق بالأكل والشرب، ولم يكن يأمر بها الآخرين كما لم يعطِ بشأنها تعليمات خاصة، بل كان يتبع فيها ما كانت عليه العرب. ففي مثل هذه الأعمال يمكن للجميع اتباع التقاليد والآداب الرائجة في بلادهم. لقد قُدِّم للنبي لحمُ الضبّ فلم يأكله. فقيل له: أحرام هو؟ فقال: "لا، ولكنه لا يكون بأرض قومي، فأجدني أعافه." (البخاري، كتاب الأطعمة). ويتضح من هذا أن ما سكتت عنه الشريعة ولم يثبت فيه أمر النبي ﷺ أيضا فلا بأس في العمل به وفق المعروف السائد في البلد والرائج عند الناس، وذلك حتى لا يؤدي إلى بث الكراهية في الناس دونما سبب، لأن هذه الأعمال لا تسمى بالسنة. وعليه فينبغي العمل على هذه الأمور كما تعارف عليه الناس مع التغييرات التي يحدثونها فيها وفق ظروف بلادهم.

٤- **الوسوسة الرابعة** التي وقع فيها الناس ظنُّهم أن الشريعة تقتصر على كلام الله تعالى، ولا علاقة للنبي ﷺ بها، وهو قول

الجكرالويين أو أهل القرآن. لقد قال المسيح الموعود عليه السلام عن هذا الأمر إن الشريعة جزءان:

أ) أحدهما الأصول؛ وترتكز عليها الأعمال الدينية والأخلاقية والحضارية والاجتماعية والسياسية.

ب) ثانيهما الشروحات الجزئية والتفصيلات العلمية، وهو ما يتمه الله تعالى بواسطة الأنبياء لتنشأ علاقة المخلوق معهم وليصبحوا أسوة للناس. فشرْحُ النبي أيضا جزء من الشريعة.

الإنجاز التاسع

تصحيح الأخطاء المتعلقة بالعبادات

الإنجاز التاسع الذي قام به المسيح الموعود عليه السلام هو تصحيحه للأخطاء المتعلقة بالعبادات.

١- **الخطأ الأول** الذي نشأ في أذهان الناس عن العبادات هو أنها تتعلق بالقلب ولا علاقة لها بالجسم. فقبل عشرين سنة ألقى أحدهم كلمة في مدينة "عليغره" قال فيها: نظرًا إلى تطور الزمن وارتقائه لم يعد طريق العبادة السابق ساري المفعول، بل يكفي الآن لمن أراد الصلاة أن يحني رأسه على الطاولة قليلا ويذكر ربّه. كما يمكن أن يصوم على هذا النحو أيضا بحيث لا يأكل ملء البطن حتى الشبع، بل يكفي له تناول بعض قطع الكعك وكوبًا من الشاي.

لقد قال المسيح الموعود عليه السلام بأن العبادات تتعلق بالروح، وللروح علاقة بالجسد، فلا يمكن أن ينشأ الخشوع القلبي دون إخضاع الجسد للعبادة. فمن الخطأ عدُّ العبادة البدنية شيئًا تافهًا بل هو سبيل مهلك، ولم ينشأ هذا الظن إلا نتيجة لعدم استيعاب أصول العبادة.

٢- **الخطأ الثاني** الذي وقع فيه الناس هو تركهم الدعاء في الصلاة، لدرجة عُدّ ذلك كفرًا لدى أهل السنة، وكان موقفهم أن

الدعاء المسنون هو ما يتم بعد الصلاة برفع اليدين. فكلما ذُكر هذا الأمر أمام المسيح الموعود عليه السلام ضحك وقال: مثَلهم كمثل الذي يتوجه إلى قصر الملك ويظل ساكتًا صامتًا فيه ثم إذا غادره قال سيدي أريد هذا وذاك. ثم قال المسيح الموعود عليه السلام: يجب الإكثار من الدعاء في الصلاة بل يجب أن يدعو الإنسان بلغته أيضا حتى يشعر بالحماس فيه.

٣- **الخطأ الثالث** هو ظن البعض أن العبادة الظاهرية كافية لهم، فكانوا يمسكون بالمسبحة في أيديهم ويجلسون عاطلين. ووصل بهم الأمر إلى هذه الدرجة حتى اطلعتُ على كتاب ورد فيه: لو قرأ أحد دعاءً معينًا نال حسنات جميع الصلحاء، وغُفر له جميع ذنوبه ولو كانت قد بلغت قدرَ ذنوب المذنبين كلهم. فأنّى لمن غلب على فكرهم مثل هذه الظنون أن يشعروا بضرورة أداء الصلوات؟ لقد قال المسيح الموعود عليه السلام: إن جسم الإنسان حصانٌ تمتطي الروحُ صهوتَه، فقد تمسّكْتُم بالحصان ولكنكم تخلّيتم عن الراكب عليه. ولما كانت العبادات الظاهرية تمثّل ذريعة للطهارة الروحانية فلا بد من السعي لإحراز الطهارة القلبية التي هي الغاية الحقيقية.

الإنجاز العاشر

تصحيح الأخطاء في الفقه

الإنجاز العاشر الذي قام به المسيح الموعود عليه السلام هو تصحيحه للأخطاء الخطيرة في الفقه، إذ تجاوز الاختلاف فيه كل الحدود. فقد وضع عليه السلام أصلا ذهبيًا في ذلك إذ قال: تتأسس الشريعة على ما يلي:

١) القرآن الكريم

٢) سنة الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم

٣) الأحاديث التي لا تتعارض مع القرآن الكريم والسنة النبوية والعقل

٤) التفقّه في الدين

٥) اختلاف طبائع الناس وظروفهم.

إنه لإنجاز عظيم للمسيح الموعود عليه السلام بحيث فرّقَ بين السنة والحديث، فقال: السنة هي عمل النبي صلى الله عليه وسلم الذي داوم عليه ودعا الآخرين أيضا إلى العمل به. أما الحديث فهو قوله صلى الله عليه وسلم.

لاحظوا الآن كيف قام عليه السلام بالتصحيح من خلال هذه الأصول الخمسة. لقد جعل عليه السلام القرآن الكريم على رأس هذه القائمة لأنه كلام الله وهو المفصل والمكمل و لم ولن يحدث أي تغيير فيه ولن يستطيع أحد

ذلك لأن الله تعالى وعد بحفظه، فهل من مصدر أكثر اعتبارًا من مثل هذا الكلام؟!

ثم ذكر عليه السلام السنة لأنها لا تتعلق بالقول، بل بالعمل الذي دأب عليه النبي ﷺ ونُقل إلينا بالتواتر؛ أي كان ألوف من الناس يرونه وهو يعمل على هذا النحو فقلدوه. ليست السنة مجرد شهادة شخص أو شخصين أو ثلاثة أنهم سمعوا رسول الله ﷺ يقول كذا، بل هي نقل ألوف من الناس أنهم رأوا رسول الله ﷺ يقوم بكذا فاتبعوه وواظبوا على ذلك. فيتضاءل جدًّا احتمال حدوث الخطأ في مثل هذه السنة، وهي أرفع مكانة من الحديث الذي يُنقَل برواية بضعة أشخاص. ثم جعل عليه السلام بعدها الحديث، وقال لا يكفي لصحة الرواية أن يكون رواتها ثقات بل اشترط أن تتطابق مع القرآن الكريم والسنة النبوية وقانون الطبيعة. وتأتي درجة التفقه الفكري في الدين بعد الحديث، وذلك ليظل الباب مفتوحًا لإدراك المسائل من خلال إعمال العقل. ثم جعل عليه السلام طبائع الناس وأمزجتهم في الدرجة الخامسة في الفقه وجعله جزءًا لازمًا من الشريعة. ولقد حُلّت كثير من المسائل الخلافية بواسطة هذا الأصل. فمثلا كانت تنشب شجارات حول الجهر بـــ"آمين" في الصلاة. فقال عليه السلام من رغب في الجهر جَهَرَ به ومن لم يرغب فيه أسرّ، لأنه مادام كلا الأمرين ثابت من السنة فلا جدوى من الشجار حوله. لقد عمل النبي ﷺ بالطريقتين نظرًا إلى الاختلاف في طبائع الناس وأمزجتهم، فكل واحد

منهم يستطيع أن يعمل بما يوافق طبيعته، ويجب ألا يهمُّه ما يختاره الآخرون وفق طبائعهم. كذلك قال عليه السلام: من شاء ربَطَ يديه على صدره في الصلاة ومن شاء رَبَطَهما تحت السرة. كذلك قال عن رفع السَّبّابة وعدمه عند التشهد، ورفع اليدين وعدمه بأنه جائز على الطريقتين. وهكذا فقد أنهى كثيرا من النزاعات التي لم يكن منشؤها اختلاف شرعي بل كانت حول أمرين جائزين، ونشأت لعدم فهم الناس حكمة الشريعة في جواز صور مختلفة لبعض الأعمال مراعاة للطبائع المختلفة.

الإنجاز الحادي عشر

إقامة حقوق المرأة

الإنجاز الحادي عشر الذي قام به المسيح الموعود عليه السلام هو إقامته لحقوق النساء التي كانت مغتصبة قبل بعثته. مثلا:

١) لم تكن المرأة تأخذ نصيبها من الإرث.

٢) كانت القسوة تمارس عليها في ارتداء الحجاب، كما كانت ممنوعة من الخروج من البيت والتجول.

٣) مُنعت من التعلم والدراسة.

٤) كانت تُحرَم من المعاملة الطيبة وتفقد مكانتها المحترمة.

٥) لم يعط لها الخيار في أمر نكاحها.

٦) كانت عرضة للقسوة والشدة أثناء الخلع والطلاق.

٧) لم تراعَ حقوقها الإنسانية.

ولقد صحَّح عليه السلام جميع هذه الأمور.

١- لقد نهى عليه السلام عن منعها من الإرث، وأيّد حقها. لم تكن النساء في عائلتنا ينلن حقّهن في الإرث منذ زمن طويل، إلا أن أخواتنا قد نلن جميعَ هذه الحقوق وورِثن معنا جميع عقارات المسيح الموعود عليه السلام.

٢- لقد أزال عليه السلام الشِّدة الظاهرة من الحجاب وما يتعلق به، فكان عليه السلام يخرج للتنــــزه مع أم المؤمنين رضي الله عنها. وفي إحدى المرات لما رأى المولوي عبد الكريم السيالكوتي المسيحَ الموعود عليه السلام يمشي مع أم المؤمنين رضي الله عنها عند محطة القطار لم يعجبه ذلك لأنه كان يعدّه عيبًا وأمرًا مخجلا جدًّا في ذلك الزمن، فذهب إلى الخليفة الأول وقال له: إن المسيح الموعود عليه السلام يتنـــزه هنا مع حرَمه، فسيقول الناس أقاويل شتى، فاذهبْ وقلْ له أن يأمر زوجَه بالجلوس. فردّ عليه الخليفة الأول قائلا: يمكنك أن تقول له ذلك، أما أنا فلا أستطيع أن أقول له مثل هذا الكلام. فَذَهَبَ، وبعد قليلٍ رجَعَ مطرقا رأسه، فسأله الخليفة الأول ماذا أجابه عليه السلام فقال: لما قلت له: قد يعترض الناس على التمشي مع الزوجة ههنا، توقف وقال: ماذا عسى أن يعترض عليه الناس؟ هل سيقولون إن الميرزا كان يمشي مع زوجته؟!

باختصار، فقد منح المسيح الموعود عليه السلام المرأة حرية التمشي والتنزه من أجل صحتها. لا تستطيع الطبقة المثقفة اليوم استيعاب هذا التغيير ولكنه كان يبعث على الحيرة والاستغراب لما بدأه المسيح الموعود عليه السلام، فأخبر عليه السلام أن الهدف من الحجاب هو إنقاذ المرأة من بعض نقاط ضعفها، وصحيح أن المرأة مُنعت من الاختلاط واللقاءات الحرة مع الرجال، ولكننا ما أُمرنا بسجنها.

٣- كانت المرأة تُحرَم من التعلّم. فقد ركّز المسيح الموعود عليه السلام على تعليم المرأة بشكل خاص، فقد كتب في رسالة إلى أحد أصدقائه: لا بد من تعليم المرأة شيئا من الإنجليزية والعلوم الأخرى أيضا إضافة إلى العربية والفارسية.

٤- لقد أقام عليه السلام أسسًا لمعاملة المرأة وحقوقها عن طريق الوحي الإلهي. فقال إن المرأة تساوي الرجل في الحقوق والواجبات والمعاملات. وفي إحدى المرات تكلم المولوي عبد الكريم السيالكوتي مع زوجته بصوت عال فنـــزل على المسيح الموعود عليه السلام وحيٌ بما معناه:

قُلْ لزعيم المسلمين "عبد الكريم" أن هذا الطريق ليس صحيحًا[١١].

٥- لم تكن المرأة تحظى بحقوق أو خيارات في نكاحها، فأقام عليه السلام هذا الحق أيضا وجعل رضاها في نكاحها ضروريًا، بل أمر بأن ينظر الرجل والمرأة إلى بعضهما قبل الزواج، بل تدخّل بنفسه في حالة بعض الرجال والنساء حتى يرى أحدهما الآخر قبل الزواج.

٦- كانت ظاهرة الطلاق شائعة على نطاق واسع حتى إنها تجاوزت كل الحدود. فمنع من ذلك الإسراف وأمر بعدم قطع رابط النكاح قدر المستطاع. على جانب آخر كان نطاق الخلع ضيقًا جدًّا

---

[11] لقد ورد هذا الإلهام في كتاب "الأربعين" كما يلي: هذا التصرف ليس جيـــدا فليُمنَع منه قائد المسلمين عبد الكريم. (الأربعين رقم ٣، الخزائن الروحانيـــة، ج ١٧، ص ٤٢٨). (المترجم)

بحيث كانت معاناة المرأة قد وصلت أوجها و لم يكن أحد يهتم بحقها. فقد أعاد عليه السلام الأمور إلى نصابها وأقام حقوق المرأة التي منحتها الشريعة. وأخبر بأن الله تعالى قد وضع الخلع للمرأة مقابل حق الطلاق للرجل. والفرق الوحيد هو أنه يشترط للمرأة أن تطلب الخلع من القاضي الشرعي. أما من ناحية مراعاة الحقوق فقد كان اهتمام الشريعة بمشاعر المرأة يماثل اهتمامها بمشاعر الرجل.

٧- طالب عليه السلام بحقوق المرأة العائلية والمدنية والاجتماعية. ما كانت المرأة تحظى بحقوق تُذكر قبل بعثته عليه السلام فقد أكدّ على حقوق المرأة وحررها من عبوديتها التي كانت واقعة فيها رغم إسلامها.

الإنجاز الثاني عشر

إصلاح الأعمال

الإنجاز الثاني عشر الذي قام به المسيح الموعود عليه السلام هو إصلاحه للأعمال التي عليها مدار النجاة. لا شك أن العالم كله يولي إصلاح الأعمال اهتمامًا كبيرًا ولكنه لم يكن يعرف السبيل إلى ذلك. لم يكن المسلمون أيضا يتكلمون عن هذه المسائل بل كانوا في حالة أسوأ من الآخرين. فقدم عليه السلام أصولا من القرآن الكريم حلّت هذه القضية وفتحت لهذا الإصلاح أبوابًا على مصاريعها بحيث لا تستطيع أية ديانة أخرى أن تحاذي الإسلام فيها.

لقد قدمت المسيحية نظرية الخطيئة الموروثة وقالت بما أن الخطيئة تنتقل إلى الإنسان عن طريق الوراثة لذلك فلا يمكن أن ينجو منها أي إنسان. وكأنهم يرون أن إصلاح النفس أمرٌ محال، وابتُدعت الكفّارة لتحويل المحال ممكنًا.

أما الهندوس فكانوا يعتقدون أن إصلاح النفس لا يتأتى إلا بالتصفية الكاملة لحساب الإنسان؛ حيث يعتقدون أن الله تعالى يحفظ حساب حسنات الإنسان وسيئاته، ويوازن بينهما فإذا كانت السيئات أكثر من الحسنات أرسله إلى الدنيا مرة أخرى في جسد آخر. وبذلك فقد

ورّطت الهندوسية الإنسان في دوامة التناسخ بعد اعتقادها باستحالة إصلاح نفسه.

أما اليهود فكانوا ينكرون إصلاح النفس لأنهم يرون أن الأنبياء أيضا يمكن أن يأثموا بل يعتقدون أنهم آثمون، فكانوا يذكرون آثام الأنبياء متلذذين ولا يرون فيها أي عيب. فكانوا يرون صورة واحدة للنجاة وهي أن يعدَّ الله تعالى أحدًا محبوبًا ومختارًا عنده فيخصه بالنجاة. فكأنهم يعدّون النجاة قدرًا من الله تعالى، وما كانوا مطمئنين بنجاتهم لأنهم أحرزوا مرضاة الله تعالى من خلال إصلاح نفوسهم، بل لكونهم من نسل إبراهيم وأمة موسى عليهما السلام.

أما المسلمون فقد طمسوا — على شاكلة اليهود - هذا الهدف النبيل من خلال اعتقادهم بتورّط الملائكة والأنبياء في بعض الآثام. وكانوا قد ابتدعوا من عند أنفسهم أن النبي ﷺ سوف يشفع لجميع المسلمين وسيُغفر لهم. إضافة إلى ذلك فقد اتخذوا لهم إلى جانب الرسول ﷺ مرشدين وزعماء آخرين أيضا يقولون لهم بأن لا داعي لكسب الأعمال الصالحة والحسنات لأننا سنكفل إدخالكم الجنة مباشرة.

لقد أثبت المسيح الموعود عليه السلام خطأ هذه الأفكار كلها واستخرج من القرآن الكريم أصولاً قدمها لإصلاح النفس كوصفة كاملة تتوقف عليها نجاة الإنسان.

لقد سلّم عليه السلام بأن الإنسان يرث النـــزعة إلى العيوب والذنوب والآثام كما يرث الميل نحو الحسنات والصالحات أيضا. كما سلّم بأن تصفية الحساب السابق أيضا ضرورية لطهارة النفس الإنسانية، ولكنه ردّ بشدة على نسبِ الآثام إلى الأنبياء.

كما ردّ على الاعتقاد السائد آنذاك بنيل أحد حظًّا من الشفاعة رغم تعمّده مخالفة أوامر الشريعة. فكان المسلمون قد أخذوا من اليهود هاتين الفكرتين إلا أنهما كانتا مخالفتين للتعاليم الإسلامية.

كما ردّ عليه السلام على فكرة أن الله تعالى خلق البعض صالحين والآخرين طالحين، وقَبِل بهذا الخصوص أمرين اثنين بعد تصحيحهما وهما:

١) لا شك أن الإنسان يرث ميولا حسنة وسيئة.

٢) ولا شك في أنه تنشأ لدى الإنسان بعض العادات والتصرفات نتيجة تناوله بعض الأطعمة أو عيشه في بعض الأجواء المعينة. ولا أدلّ على ذلك من وجود عادات مختلفة باختلاف المناطق، فمثلا أهل كشمير جبناء عمومًا أما الأفغانيون فدمويون، والبنغاليون أيضا جبناء أما البنجابيون فشجعان نسبيًا. فلو كان للإنسان سيطرة كاملة على تصرفاته والتحكم في عاداته لما كان البنغالي يحجم عن الضرب كل مرة ولما كان الكشميري يتراجع القهقرى عن الإقدام على خطوات تدل على الشجاعة والبسالة، ولـــَمَا كان الأفغاني مستعدًّا لأعمال القتل والضرب دومًا. تخبرنا مثل هذه العيوب الاجتماعية والقومية أن للأطعمة

والأشربة والجو أو الطقس دورًا كبيرًا في تكوين السلوك والعادات لدى الإنسان، إذ لا يسعنا القول عن ميزات سكان منطقة معينة وعيوبهم أنهم جميعًا يختارونها بطيب خاطرهم ثم يعتادون عليها.

٣) لا شك أن للتربية والعقيدة أيضا أثرًا بالغًا على سلوكيات الإنسان. مثلا، يثور الهندوس عند ذبح بقرة حتى أنهم يستعدون لقتل الذابح مع علمهم بأنهم سيُعدَمون بجريرة قتل الآخرين، مع كل ذلك عندما يرون بقرةً تُذبح أمام أعينهم لا يتمالكون أنفسهم، هذا هو تأثير العقيدة.

٤) ولا شك أن الظروف الخاصة التي يمر بها الإنسان تؤثر عليه وعلى عمله. فمثلا، الأستاذ قد يسمِّع للطلاب دروسهم يومًا فيرفق بهم ويكون لينًا معهم ولكن في اليوم التالي لو تشاجر مع زوجته وخرج من بيته غضبان فسيعاقب الطلاب على أتفه الأخطاء في دروسهم، مما يدل على حتمية تأثير الظروف - التي يمر بها الإنسان - على عمله.

باختصار، هناك أمور كثيرة تؤثر على أعمال الإنسان. فوضح ذلك المسيح الموعود عليه السلام إذ قال بأن قانون الوراثة ليس هو المؤثر الوحيد في شخصية الإنسان وأعماله بل هناك أمور أخرى أيضا. وعليه فالسؤال المطروح الآن: إذا كان بالإمكان التخلص من الخطيئة الموروثة بالإيمان بالكفّارة، فكيف يمكن التخلص من الذنوب الأخرى التي تنشأ بعوامل أخرى؟

ثم قال عليه السلام بأن جميع الملل انخدعت في ظنها أن الإنسان مفطور على ارتكاب الإثم؛ فبعضهم انخدعوا بسبب نظرية الخطيئة الموروثة، وبعضهم بسبب اعتقادهم أن الإنسان يعاقب على آثام ارتكبها في حياته السابقة في جسد آخر، وبعضهم انخدع بفهمه الخاطئ للآية التالية: ﴿وَخُلِقَ الْإِنْسَانُ ضَعِيفًا﴾ (النساء: ٢٩)، ونشأت عند بعضهم هذه الوسوسة بسبب فهمهم الخاطئ للقدر الأزلي. والحقيقة أن الإنسان قد فُطر على الخير رغم قانون الوراثة والتربية وغيرهما من العوامل المؤثرة على سلوكه وعاداته، إذ أُودعت فطرة الإنسان نفورًا من العيوب ورغبة في كسب الحسنات وأعمال الخير، أما العيوب والسيئات فهي بمنزلة الصدأ الذي يعلو فطرة الإنسان، والدليل الأول على ذلك أن السيئ من الناس أيضا يعمل الصالحات أكثر من السيئات، فحتى الذي يوصف بالكذاب يصدق مرات عديدة في اليوم الذي يكذب فيه مرة واحدة.

لقد أخبر المسيح الموعود عليه السلام أن خلو القلب من الأمل بالطهارة هو أصل السيئات كلها، لأن ذلك يُسقط المرء في عينيه. وهذا ما أدى إلى نشوء تعبير يردده البعض كثيرًا وهو أن الإنسان شقي أزلي. لو بدأتم تقولون لأحد الأطفال إنه كاذب فسترون بعد فترة أنه سيبدأ بممارسة الكذب حقيقة. فقال عليه السلام إن الإنسان خُلق صالحًا وليست السيئة إلا صدأ علاه، أما المعدن الذي خُلِق منه فهو الحسنة كلها، فيجب أن يُطلَع على هذه الحقيقة حتى يتحلى بالشجاعة ويزول عنه اليأسُ والقنوط،

لذلك يجب تنبيهه إلى جوهره الخالص والطاهر فسيميل رويدًا رويدًا نحو الحسنة والأعمال الصالحة تلقائيًا.

والدليل الثاني الذي قدمه عليه السلام في ردّ نظريات الديانات الأخرى هو أن الإثم هو ما يتعمد الإنسان فعله. أما الذي لا يتعمده وإنما يُجبر عليه فلا يعدّ إثمًا، فمثلا: أحيانًا يمسك أحدٌ بيد طفلٍ ويضرب بها أمّه، فهل ستعاقبه أمه على فعله هذا؟! وعليه فقد قال عليه السلام: لو لم يكن باستطاعة الإنسان التخلص من الخطيئة الموروثة فلا تعدُّ إثمًا، كذلك لو لم يستطع اجتناب خطيئة العادة فلا تعد إثمًا، فلو كان تحت تأثير بعض التعاليم والتربية بحيث صار مُعوّقًا لا يسعه بطبعه تجنب ارتكاب الإثم فلا يعدّ ذلك إثما في حقّه، ولو كان به ضعف طبعي لدرجة لا يتغلب عليه مهما بذل من جهود مضنية فليس ذلك إثمًا بالنسبة إليه. باختصار إذا كان طريق تجنبه الإثم مسدودًا إلى درجة التعويق بحيث لا يسعه تجاوزه فلا يعدُّ ذلك إثمًا في حقه، ولكن لو لم يكن الأمر كذلك لاستطاع الإنسان اجتنابه، ولو استطاع اجتنابه فلا داعي لترك هذه الطرق الطبيعية وابتداع طرق جديدة كالكفّارة والتناسخ وغيرهما. وعليه فلا بد من عدِّ الإنسان معذورًا وبلا خطيئة بقدر عجزه عن اجتناب الإثم وبالتالي لا بد من عدِّه معفى من العقوبة بهذا القدر، ومع كل ذلك فلا حاجة لأية كفارة أو تناسخ. فبقوله إنّ الإثم هو ما يتعمده الإنسان ويرتكبه رغم القدرة على اجتنابه، قد غيّر عليه السلام نظرية الإثم كلها.

لقد راعى القرآن الكريم الأصول التالية في جزاء الأعمال:

١) ركز على الوزن والقيمة بشكل خاص، مما يعني أن الله تعالى سوف يراعي في ميزان أعمال الإنسان إلى أي مدى كان مخيّرًا فيها أو مكرهًا عليها.

٢) ركز الله تعالى على كونه ﴿مَالِكِ يَوْمِ الدِّين﴾ أي لم يفوّض الجزاء الحقيقي إلى غيره، والسبب في ذلك هو أنه لا يعلم الغيب إلا الله. فلو عهد إلى الآخرين جزاء أعمال الناس لما راعوا الجزء المتعلق بمقدار الجبر والاضطرار في الأعمال الإنسانية، ولعدّوا الإنسان آثمًا بسبب تلك الأعمال التي لم يأثم بارتكابها أو لم يكن متعمّدًا في الحقيقة في ارتكاب الاثم، ولعدّوه صالحًا بسبب الأعمال التي لم يكن يتوخى صلاحًا في القيام بها أو لم ينو حقيقةً الصلاح في العمل بها.

نقطة لطيفة:

اعلموا أن ﴿مَالِكِ يَوْمِ الدِّين﴾ يدل على أن هناك أسبابًا وعللا كثيرة كامنة وراء الأعمال الإنسانية لدرجة أن عدم استيعابها يحوّل الجزاء والعقاب إلى ظلم. ولقد استخدم الله لنفسه كلمة المالكية بخصوص يوم الدين، لأن المالكية لا تتأتى بدون كمال إحاطة التصرف الحقيقي، أما المُلكية فممكنة. ولم يقل الله تعالى هنا "مالككم يومَ الدين"، بل قال: ﴿مَالِكِ يَوْمِ الدِّين﴾ لبيان أن الهدف هنا ليس التركيز على مالكية الله

تعالى لكم، بل على أن الله تعالى سيكون مالك ذلك اليوم، ألا وهو يوم الدين.

وهناك آية أخرى تؤيد هذا الموضوع وهي: ﴿وَلَوْ يُؤَاخِذُ اللَّهُ النَّاسَ بِمَا كَسَبُوا مَا تَرَكَ عَلَى ظَهْرِهَا مِنْ دَابَّةٍ﴾ (فاطر: ٤٦)، أي تصدر من الإنسان أفعال كثيرة مخالفة للشريعة أو تغلب عليها أهواؤه النفسية، ولكن الله تعالى لا يعاقب على جميع هذه الأعمال، إنما يعاقب على الأعمال التي يرتكبها الإنسان بإرادته ويكون مخيّرًا فيها.

ويجدر بالذكر هنا أن الله تعالى قال: ﴿مَا تَرَكَ عَلَى ظَهْرِهَا مِنْ دَابَّةٍ﴾ أي لو عاقب الله تعالى على جميع أعمال الإنسان لما ترك على ظهر الأرض من دابة. وهنا ينشأ سؤال منطقي وهو: إذا كان الله تعالى يؤاخذ الناس بما كسبوا فلماذا يُهلك الدواب كلها؟ ولماذا تُعاقَبُ الدواب بجريرة أعمال الإنسان. ولقد أجاب المفسرون على هذا السؤال قائلين بأن الدواب خلقت لفائدة الإنسان لذلك فعند هلاك الإنسان لا بد من هلاك الدواب أيضا. ومع أن هذه الإجابة صحيحة إلا أني أرى في هذه الآية إشارة أيضا إلى أن جزءً من أعمال الإنسان يتعلق بالإكراه ويقوم بها مكرَهًا كالأنعام مثل الأبقار والجواميس، فلو عوقب الإنسان على جميع أعماله للزم أن تُعاقَب الأبقارُ والثيرانُ وغيرها أيضا ولأُهلكتْ جميع الحيوانات، ولكننا لا نفعل ذلك؛ فلا نعاقب الحيوانات على

تصرفاتها لأنها ليست مخيرة فيها، كذلك فلا نعاقب الإنسان على جميع أعماله إنما نعاقبه على ما يصدر منه باختياره.

والسؤال المطروح الآن هو: هل هناك علاج لما يصدر من الإنسان كُرهًا عند فقده السيطرة على نفسه؟ أم لا علاج له؟ ولقد رد عليه المسيح الموعود عليه السلام بأن له علاجًا أيضا وهو أن الله تعالى خلق في الإنسان مشاعر قوية للخوف والمحبة وباستخدامها يمكنه التغلب على اضطراره وكونه مكرَهًا. مثلا: من طبيعة الذئب العض والافتراس ولكن بذرة الحُب تجبره على ألا يعضّ ولده، وكأن الحب يتغلب على عادة العضّ فيه. ولا يهاجم النمر حيث تكون النار مشتعلة لأنه يخاف على نفسه، ومن عادة النمر الهجوم ولكن الخوف أقوى منها لأنه يغلب طبيعتَه هذه. كذلك لو أثيرت مشاعر الحب والخوف في الإنسان فبإمكانه التغلب على التأثيرات السيئة التي تتحكم في أعماله وتسيطر عليها. ولقد هيأ الله تعالى بفضله أسبابًا لذلك؛ إذ يبعث في الدنيا مبعوثيه بين فترة وأخرى ويري بواسطتهم مظاهر قدرته وجلاله وفضله ورحمته وذلك ليتولد في نفوس الناس الحب والخوف الكاملَين. فمن يتحلى بعاطفة الحب أكثر يزداد حبًّا بآيات الله وتجلياته فيتغلب على جميع التأثيرات السيئة فينال العفة والطهارة. أما الذين يتوافق طبعهم مع الخوف فإنهم يتأثرون بتجليات الله القهرية وبالتالي يتغلبون على

التأثيرات السيئة، وهكذا يُحفظ الإنسان من التأثيرات الخارجية التي تتمثل في ممارسة نوع من الإكراه عليه، وينال عونًا في إصلاح نفسه.

تعريف الحسنة والسيئة

هنا ينشأ سؤال طبيعي وهو: ما هي حقيقة الحسنة والسيئة؟ وما المقصود بإصلاح النفس؟ ولقد رد عليه الناس بردود مختلفة، فبعضهم قال:

١) السيئ هو ما يبدو سيئًا والحسن ما يتراءى حسنًا. ولكن بما أن هذا الرد يتعلق بتفكير الإنسان وظنه فسنضطر للقول بأنه لو عبد الأوثانَ الهندوسي - الذي يحسب عبادة الأوثان عملا حسنًا — لَعُدَّ عمله ذلك حسنًا أما لو قام به أحد المسلمين لعُدَّ سيئا.

٢) وقال البعض: الحسنة هي ما يراه صاحبه أو العالم حسنًا والسيئة ما يراه صاحبه أو العالم سيئا.

يَرِدُ على الرأي الأول الاعتراض التالي: لو حسِب أحد القتلَ عملا حسنًا فقَتَل شخصًا، فهل تعدّ جريمته هذه حسنةً؟ أو إذا حسب أحد الزنا أمرًا مشروعًا فهل يتحول إلى حسنة؟

ويرِد على الرأي الثاني الاعتراض التالي: من يقول بأن ما يكون حسنًا أو سيئًا في المحصلة فهو الحسنة أو السيئة، نسأله: كيف يمكن أن يتم الكشف عن هذه الحالة الحسنة أو السيئة إجمالا، إذ لا يسع الإنسان

معرفة الظروف المحيطة به بشكل كامل، فأنّى له أن يعرفها إجمالا أو بمجموعها؟ فكيف يمكن للإنسان الاستفادة -كما يجب- مما لا يحيط به علمًا؟

٣) والرأي الثالث هو أن السيئة هي ما تضيق به الفطرة الإنسانية ذرعًا، والحسنة هي ما ترغب فيه. تكره الكذبَ شعوبُ العالم أجمع لأنه سيئة، وترغب في التصدق والإنفاق في سبيل الله لأنه حسنة. ولكن يرِد على ذلك الاعتراض التالي: قد تتعلق الرغبة أو المحبة والكراهية بالعادات والتقاليد أيضا؛ إذ إن هندوسيًا قد يمتلئ كراهية ونفورًا عند ذبح البقرة، أما المسلم فليس كذلك بل يرغب فيه، فكيف يمكن الفصل بين الحسنة والسيئة بناء على هذا الأصل؟

٤) الرأي الرابع هو أن ما تنهى عنه الشريعة فهو سيئة وما تأمر به فهو حسنة. ويرد على هذا الرأي الاعتراض التالي: لو فرضنا صحة هذا الرأي للزم القول بأن الشريعة عندما تنهى عن سيئة فهي إذن تولدها، وذلك لأنه لم يكن للسيئة كيان منفصل مستقل بل عرفت كسيئة بمنع الشريعة عنها، فهذا يعني أن الشريعة لا تأتي لتنهى عن السيئة بل تحولت بعض الأفعال إلى سيئة بسبب نهي الشريعة عنها. وهكذا فكأن الشريعة هي التي فتحت باب السيئة. هذه هي وجهة نظر المسيحية، ولأجل ذلك عُدَّت الشريعة لعنة.

ويتضح مما ذكره المسيح الموعود ﵇ عن الحسنة والسيئة أنه قبِل جميع هذه الأمور وردّها أيضا، وهذا يعني أن جميع هذه الأفكار والآراء تتضمن جزءًا من الصدق. ومن خلال تدبرنا في هديه نخلص إلى النتيجة التالية: صحيح أن الحسنة والسيئة كثيرًا ما تتعلقان بنية الإنسان إلا أنهما لا تعتمدان على النية فقط. لا شك أن من يحسب عملا حسنًا خلافًا لشريعة الله ثم يعمل به فسيأثم بارتكابه، لأنه ارتكبه بعد أن رآه إثمًا وهكذا تعمّد معارضة الله تعالى. كذلك فقد يرى أحد سيئة عملا حسنًا فيعمل بها، فقد لا يعدّ - كالإنسان المذكور - مرتكبَ سيئة في بعض الأحيان. مثلا، لو أخطأ أحد وأطعم صديقه طعامًا ضارًّا، فمع أنه فعلٌ سيئٌ إلا أنه لا تُنسَب إليه إلا الحسنة لأنه لم يقم به إلا لينفع به غيره.

والتعريف الثاني أيضا صحيح إلى حدّ ما، لأنه لا تعدّ الحسنات حسنات والسيئات سيئات إلا وفق نتيجتها الإجمالية، ولكن لا يفيدنا هذا التعريف؛ لأنه إضافةً إلى عدم استيعاب الإنسان منافع هذه الدنيا أو مضارها بشكل كامل، يستحيل عليه أيضا تقدير نتائج بعض أعماله أو بعض أجزاء أعماله المتعلقة بحياته الأخروية، فلا يسعنا عدُّ بعض الأعمال حسنةً وبعضها سيئة من عند أنفسنا بناء على هذا التعريف.

والتعريف الثالث هو أن ما تضيق به الفطرة الإنسانية فهو السيئة، وما يحب المرء فعلَه فهو الحسنةُ، وهذا التعريف أيضا صحيح، ولكن الفطرة الإنسانية تَفْسد أحيانا تحت تأثير بعض العوامل كالعادات وغيرها.

فكيف السبيل إلى معرفة الميول الفطرية الصحيحة؟ ولا نستطيع الاستفادة من هذا التعريف بدون معرفة الميول الفطرية الصحيحة.

وأما التعريف الرابع وهو أن ما تنهى عنه الشريعة فهو السيئة وما تأمر به فهو الحسنة، فهذا مستحيل أيضا، إذ لو كان أمرُ الشريعة أو نهيُها مبنيا على حكمة معينة لنُسبَ إليها وقيل في هذه الحالة بأن الذي يتضمن هذه العلّة المعيّنة فهو السيئة وأن ما يحتوي على سبب معين آخر فهو الحسنة، ولكن لو أمرت الشريعة ببعض الأعمال أو نهت عنها بدون ذكر أية حكمة لكان حكم الشرع هذا لغوًا وعبثا.

فجميع هذه التعاريف ناقصة ولا تكتمل إلا بعد الجمع بينها، فلقد عرّف المسيح الموعود عليه السلام الحسنة بأنها تعني موافقة الإنسان لصفات الله تعالى الذي هو الحُسن الأزلي والأكمل، وأن السيئة هي تصرُّفه المخالف لهذه الصفات. والحقيقة أن اليهودية والمسيحية والإسلام متفقة على أن الله تعالى خلق الإنسان على صورته.. أي ألبسه رداء صفاته بصورة ظلّية وأودعه قوة ليصبح مظهرًا لصفاته، وهذا هو الغرض الذي خلقه الله تعالى لتحقيقه، أي أن الله تعالى هو الأصل والإنسان صورته، ويكمُن جمال الصورة في مدى تطابقها مع الأصل وقبحُها في مخالفتها للأصل. إذًا، فكل ما يجعل الإنسان أكثر توافقًا مع الله وأكثر مشابهة له هو الحسنة، وكل عمل يجعله على نقيضٍ من صفات الله تعالى فهو السيئة التي يشوّه بها تلك الصورة التي خُلق لأجل رسمها. فإن الله تعالى هو

المبدأ والمنبع الحقيقي في العلاقة بينه وبين الإنسان. فلما كان الإنسان صورةً فإن مطابقتها مع الأصل جمالٌ ومخالفتَها له عيبٌ، أو بعبارة أخرى مطابقة هذه الصورة مع الأصل حسنةٌ ومخالفتُها له سيئةٌ. وبما أن الإنسان خُلق بقوى خفية مشابهةٍ في نطاق ضيق لصفات الله تعالى لذلك ينبغي أن تتطابق فطرته مع الأعمال المنسجمة مع صفات الله تعالى وتنفر من الأعمال المخالفة لها. فإن هذا النوع من التوافق والتنافر الفِطريَين سيرمزان إلى الحسنة والسيئة. إن مخالفة هذا الأصل تؤدي إلى التشوّه والقبح ومطابقته تولد الحُسن والجمال. إضافة إلى ذلك تظهر نتيجة أخرى وهي أن الإنسان يتمتع بالإرادة وإن كماله يكمن في عمله بالإرادة وهكذا سترتبط الحسنة والسيئة بالإرادة أيضا إلى حد ما.

ولكن مع قبولنا لهذه الأمور الثلاثة فلا نمتنع عن التسليم بأن الإنسان يخفق أحيانا في استخدام عقله وفطرته بصورة صحيحة تحت تأثير بعض العوامل الخارجية والعادات، فكان لا بد أن نتلقى من الله تعالى تعليمات مكتوبةً تُعَدّد الأعمال الباعثة على موافقة الإنسان مع الحسن الأزلي الإلهي ومخالفته له، وهذا ما يسمى بالشريعة، فإن العمل بالشريعة بحسب هذا المفهوم يعدُّ حسنةً ومخالفته سيئة. فالتعريف الصحيح للحسنة والسيئة يكتمل عند الجمع بين التعاريف الأربعة المذكورة، وهو ما يشير إليه هدي المسيح الموعود عليه السلام.

الإنجاز الثالث عشر

إيجاد أسباب ازدهار الإسلام والمسلمين

الإنجاز الثالث عشر الذي قام به المسيح الموعود عليه السلام هو إيجاده أسباب الرقي والازدهار للإسلام والمسلمين، ومنها:

١) **تبليغ الإسلام**: إن المسيح الموعود عليه السلام لهو أول مَن فتح باب هذا العمل بعدما توقف منذ زمن طويل، لأن المسلمين قبل بعثته عليه السلام كانوا قد تغافلوا كليًّا عن واجب تبليغ الإسلام، ولم يعد يهمهم القيام بواجب التبليغ بصورة منظمة، اللهم إلا إذا قام به بعضهم أحيانًا في محيطهم الضيق، أما التبليغ في البلاد المسيحية فكانوا يرونه مستحيلاً. لقد بدأ عليه السلام يركز على هذا العمل منذ عام ١٨٧٠م تقريبا، فقد بدأ به أولا عبر الرسائل التبليغية ثم بواسطة نشر إعلانات تحدّى بها أهل أوروبا ودعاهم إلى أن يثبتوا صدق ديانتهم مقابل الإسلام، وأخبرهم بأن الإسلام يفوق بمحاسنه وميزاتِه الدياناتِ كلها، فليتقدم أي دين من أديان العالم لقبول تحدي الإسلام. لقد أسلم الداعية الإسلامي الأميركي الشهير الكسندر ويب بعد قراءة كلام المسيح الموعود عليه السلام ثم جاء إلى الهند للقائه إلا أن المسلمين الآخرين قد أوغروا صدره ضد المسيح الموعود عليه السلام وقالوا إن لقاءك به سيكون مجلبةً لغضب المسلمين فلن يساعدوك في مهمتك. فلما رجع إلى أميركا أدرك خطأه فظل يظهر

ندمه على فعله هذا - من خلال رسائله - إلى مماته. أما اليوم فلجماعة المسيح الموعود عليه السلام مراكز تبليغية تقوم بتبليغ الإسلام في مختلف بلاد العالم، والعجب أنه اليوم وبعد مضي ستين سنة على بدئه لهذه المهمة لم يعد في الساحة العالمية إلا جماعته التي تقوم بهذا الواجب بكل جدارة.

٢) **قدَّم عليه السلام التعليم الصحيح للجهاد**. لقد انخدع الناس إذ ظنوا أنه عليه السلام قد منع الجهاد في حين أنه لم يمنعه قط، بل أكد على أهميته، وقال إن المسلمين نسوا حقيقة الجهاد فليس الجهاد عندهم سوى القتال بالسيف، وكانت النتيجة أنهم جلسوا مطمئنين عند إحراز الغلبة، فقد توطد الحكم الإسلامي في البلاد، إلا أن الكفر ظل موجودًا في مكانه؛ إضافة إلى ذلك لم ينتبه المسلمون إلى نشر الإسلام في البلاد غير المحاربة للمسلمين، لذلك ظل فيها حكم الكفار. لقد أسفر كل ذلك عن ازدياد قوة الكفار رويدًا رويدًا، وأدى ذلك إلى إلحاق الضرر بالإسلام ولا سيما عند إحراز بعض الشعوب تفوقًا سياسيًا. فلو كان المسلمون يعرفون تعريف الجهاد الذي قدمه المسيح الموعود عليه السلام لما رأينا هذا اليوم المشؤوم؛ والجهاد عنده اسمٌ لكل عملٍ يقوم به الإنسان من أجل إقامة الخير والتقوى، وكما إنه يتمّ بالسيف كذلك يتم بإصلاح النفس وبالتبليغ وببذل المال أيضا، وهناك وقت ومناسبة لكل نوع من الجهاد. فلو كانوا يعرفون هذا التعريف للجهاد لما حسبوا حكم الجهاد معطلا عند غلبتهم الظاهرية، بل لأدركوا أنه لم يتوقف العمل إلا بنوع واحد

من الجهاد أما أنواعه الأخرى فلا زالت قائمة بل يقتضي الوقت القيامَ بجهاد التبليغ، فلو فعلوا ذلك لكان الإسلام قد انتشر في جميع أرجاء البلاد الإسلامية، بل لكانت أوروبا أيضا مسلمة اليوم، ولَمَا واجه الإسلام انحطاطًا عند رقيها. باختصار، لقد بين المسيح الموعود عليه السلام مواقع الجهاد ومناسباته. فلم يقل بأن الجهاد بالسيف ممنوع بل أخبر عن نوع الجهاد الواجب في هذا العصر وفق الشريعة، ثم بدأ بنفسه هذا الجهاد بكل قوة، وفتح باب التبليغ في كل العالم. إنها لخدمة إسلامية عظيمة ليت المسلمين يفهمونها، لأنه بواسطتها قد فتح باب الرقي والازدهار لهم، كما أنقَذَهم من إثم عظيم؛ لأن المسلمين رغم إيمانهم بوجوب الجهاد بالسيف لم يكونوا يعملون به، وهكذا كانوا يرتكبون إثمًا أو تلوثا نفسيا مبينًا، والآن كلما قبلوا شرح المسيح الموعود عليه السلام تخلصوا من صدأ شعورهم بالذنب، لأنهم قبل ذلك ما كانوا يعرفون المعنى الصحيح للجهاد.

٣) **والمنجر الثالث الذي** قام به المسيح الموعود عليه السلام من أجل رقي الإسلام هو أنه **وضع أسسًا جديدة لعلم الكلام**. إن الحرب الدائرة بين الديانات المختلفة قبل بعثته عليه السلام لم تكن تعدو كونها حرب عصابات؛ إذ كان الجميع يتحيَّن الفرصة للاعتراض على الآخر ومحاولة إثبات هزيمته، فقد تدارك عليه السلام هذا النقص وقال إن استخدام مثل هذه المحاولات تسيء إلى الديانات كلها، فلا يثبت صدق دين بإثبات العيبِ

في غيره، كما لا يمكن معرفة حقيقة ديانة ما من خلال النقاش في قضية واحدة فقط، بل يجب أن تُختَبَر الأديان على الأصول التالية:

أ- **الأصل الأول هو المشاهدة**؛ وهي أن يبرهن كل دين على الغرض الذي قام لأجله، أي يثبت أن اتِّباعه يحقق الغاية التي جاء هذا الدين لأجلها؛ مثلا لو كان الغرض منه التقربُ إلى الله – وهو غرض كل دين في الحقيقة – فينبغي أن يبرهن على أن من يتبع تعاليم هذا الدين فسينال قرب الله تعالى، وإلا فهو دين بلا هدف وغاية، وصار جسدًا بلا روح. لا يكفي لإثبات صدق أي دين بعضُ التعاليم الأخلاقية والاجتماعية أو بعض الأصول الفلسفية التي يمكن للإنسان تقديمها مسروقة من الأديان الأخرى أو يدركها من خلال تفكيره من دون أن يتلقى بخصوصها وحيًا من الله. فأكبر دليل على صدق أي دين أنه يمكّن الإنسانَ من نيل قرب الله تعالى في هذه الدنيا، وهو أمر يؤكد على الحاجة إلى الدين؛ فلو ادعى دين من الأديان أنه يكفل النجاة بعد الممات فقط فلا يمكن تصديق مثل هذا الادعاء إذ لا يمكن اختباره، والجدير بالذكر أن هذا هو ادعاء الديانات كلها مع الاختلاف في مفهوم النجاة، وليس من دين يعلن عن استحالة النجاة من خلال اتباع تعاليمه. فلا يُقبل ادعاء النجاة بعد الممات وحده ولا يحقق الغايةَ من الدين، أما ما يُقبل فهو أن يُثبت الدينُ من خلال الواقع الـمُشاهد أنه أوصل جماعةً من تابعيه إلى الله تعالى ومكّنهم من نيل قربه في هذه الدنيا. وهذا هو الدليل الذي لا يسع

أحدًا إنكاره، وهو ما يقضي على جميع أنواع المباحثات والمناظرات الدينية. ومن هذا المنطلق لا يبقى في الساحة إلا الدين الإسلامي لأنه الدين الوحيد الذي يدّعي أنه يُظهر فيوضَه اليوم أيضا كما كان يظهرها في الأزمنة الأولى، ويوصل الناس بالله تعالى ويجعلهم يشاهدون آثار قربه سبحانه وتعالى.

فلما قام عليه السلام بهذا الإعلان صعُب على أتباع الأديان الأخرى أن يقفوا أمام جماعته فأخذوا يهربون منهزمين في كل ميدان.

ب- **والأصل الثاني** الذي قدمه عليه السلام في المناظرات الدينية هو ضرورة وجود الدعوى والدليل على إثباتها في الكتاب الإلهامي لكل دين. وبذلك فقد لفت انتباه العالم الديني إلى ظاهرة كانت غريبة لكثير من الناس الذين أصبحوا ينسبون أفكارهم الشخصية إلى دينهم ثم يبدأون بالنقاش حولها، وكانت النتيجة أنه لو أحرز مثل هذا الإنسان تفوقًا فلم يكن لِيُعَدَّ تفوقا لدينه، وكذلك إن انهزم فلم تكن هذه هزيمة لدينه، إلا أنه يؤدي إلى تبديد الوقت في المناقشات العابثة دون أي جدوى. فيجب أن يتقيد أتباع جميع الديانات في المناظرات الدينية بإثبات وجود أصل دعواهم من كتبهم السماوية، ثم يجب أن يأتوا بدليل على صدق هذه الدعوى من كتب ديانتهم أيضا، وذلك لأنه من المحال أن يبقى كلام الله تعالى بلا دليل، ثم بعد توافر هذا الشرط يمكن أن تُقدَّم أدلة أخرى لدعم القضية وشرحها أكثر. لقد أثار هذا الأصل ضجة في الأوساط الدينية

وأُسقط في أيدي الوعاظ الحمقى - الذين كانوا يذكرون كل ما يحلو لهم وينسبونه إلى ديانتهم — وفي أيدي المتهافتين على العلوم الجديدة أيضا الذين كانوا قد اعتادوا تحويل العلوم الجديدة إلى قضية دينية لهم، حتى كُمّمتْ بذلك أفواه الآريا من الهندوس أيضا الذين كانوا يتفاخرون بقولهم بأزلية الأرواح والمادة لأن هذه القضية لم ترد في الفيدا، فضلا عن أدلة صدقها، ولا يزال علماء طائفة الآريا مشغولين في البحث عن نص واحد يحقق مطلبهم أو يخدم قضيتهم. ولم يختلف حال أتباع الديانات الأخرى إذ إنهم أيضا لم يستطيعوا إثبات صدق ديانتهم وفق هذا الأصل. هذا ومن ناحية ثانية قدَّم المسيح الموعود عليه السلام من القرآن الكريم جميع دعاوي الإسلام والأدلة على صدقها. ولا يزال مبلغو الجماعة الإسلامية الأحمدية يستخدمون هذه الحربة الماضية بكل نجاح، ولا يزالون يعودون فائزين من كل ميدان.

ث- **الأصل الثالث** الذي قدمه المسيح الموعود عليه السلام هو أنه لا يكفي لدين يدّعي عالميته أن يُثبت فقط بأنه أتى بتعليم جيد وحسن بل ينبغي له أن يثبت أيضًا أن تعاليمَه كفيلة ببعث السكينة والطمأنينة في نفوس الناس جميعا على اختلاف طبائعهم ومطالبهم الفطرية. فلو كان مجرد التعليم الحسن دليلا على صدق دين من الأديان لأمكن لأي أحد الادعاء بأني جئت بدين جديد، وتعليمي هو ألا تكذبوا ولا تظلموا ولا تخونوا. هذا تعليمٌ حسن ولكنه لا يحقق جميع الضرورات الإنسانية،

وعليه فلا يمكن أن يكون مثل هذا التعليم - على حسنه - دليلا على صدق دين من الأديان. لنأخذ المسيحية مثلا من بين الأديان الموجودة التي يقول أتباعها إن أكبر منجزات المسيح عليه السلام هو تعليمه الذي يقول فيه: "مَنْ لَطَمَكَ عَلَى خَدِّكَ الأَيْمَنِ فَحَوِّلْ لَهُ الآخَرَ أَيْضًا." (مَتَّى ٥: ٣٩)، يبدو هذا التعليمُ حسنًا وجميلاً في الظاهر إلا أن التدبر فيه يكشف لنا أنه يخالف الفطرة الصحيحة التي ترمي إلى ترسيخ الحسنة وإقامتِها، لأنه يؤدي إلى ازدياد السيئة، كما لا يحقق جميع الضرورات الإنسانية لأن الإنسان يحتاج إلى مواجهة العدو أيضا، ولكن تعليم المسيح المذكور يخلو من إرشاد الإنسان في هذا الموقف. ولقد واجه أعداء الإسلام هزيمة نكراء بسبب اتباعهم هذا الأصل وانتصر الإسلام في مواطن كثيرة.

٤) **والمنجز الرابع** الذي قام به عليه السلام من أجل رقي المسلمين وازدهارهم هو أنه قرّب للإسلام الشعبَ السيخي - الذي هو الشعب الهندي الحَمِس والـمُجدّ - إذ أثبت من التاريخ ومن كتبهم الدينية أن مؤسس ديانتهم "باوا نانك" - عليه الرحمة — كان في الحقيقة مسلمًا يؤمن بالقرآن الكريم ويصلي، وكان قد حجَّ أيضا، كما أنه كان يرتبط بعلاقة الحب والاحترام والتقدير بالمتصوفين المسلمين عمومًا ولا سيما بالصوفي الشهير "باوا فريد الدين" رحمه الله. وكان هذا البحث والتحقيق رائعًا وموثوقًا به لدرجة أحدث حينها ثورة عظيمة في قلوب السيخ، فلو وقف المسلمون الآخرون إلى جانب المسيح الموعود عليه السلام

يومئذ لكان قد أدى هذا البحث العظيم إلى إسلام مئات الألوف من السيخ، ولكن للأسف لم يسانده المسلمون بل عارضوه ووضعوا العراقيل في سبيله الذي كان سيحدث تأثيرا عظيما. مع كل ذلك يمكن القول بأن شريحة من الناس قد تأثرت بهذا البحث تأثرًا بالغًا، ولسوف يُسفر هذا البحث عن نتائج عظيمة عاجلا أم آجلا.

٥) **والمنجر الخامس** الذي قام به عليه السلام من أجل رقي الإسلام هو إثباته بأن اللغة العربية أم الألسنة، وأكد على المسلمين بضرورة تعلم العربية. لم يدرك المسلمون إلى الآن عظمة هذا الأمر بل على عكس ذلك لا زالوا يحاولون طمس العربية والقضاء عليها، أما المسيح الموعود عليه السلام فقد وضع في هذا الاقتراح القيّم أساسًا لوحدة المسلمين. ونحن على أمل كبير أنهم بعد مدة سينتبهون إلى هذا الأمر وسيشعرون بأهميته الدينية أيضا مع أهميته السياسية والحضارية.

٦) **والمنجز السادس** الذي قام به عليه السلام لرقي الإسلام هو أنه قام بجمع ذخيرة كبيرة من الأدلة المؤيِّدة للإسلام، وبالتالي تيسر للجميع الآن - من خلال مطالعة كتبه عليه السلام - مواجهة أتباع كل دين وملة ومقاومة الأضرار الناجمة عن الاستخدامات الفاسدة للعلوم الجديدة.

٧) **والمنجر السابع** الذي قام به عليه السلام هو أنه بثّ في نفوس المسلمين أملا بعد أن فقدوه. لقد يئس المسلمون من ظهور الإسلام قبل بعثته عليه السلام وكانوا يظنون أن الإسلام يرزح تحت وطأة الهزائم، فجاء

عليه السلام وأعلن بكل حماس بأن الله تعالى سوف يحقق بواسطتي رقيًا وازدهارًا للإسلام، وسوف ينتصر الإسلام أولا من ناحية أدلته الدامغة وأخيرا ستنضم إليه الشعوب القوية من خلال التبليغ فتزيد من قوته السياسية أيضا، وهكذا فقد جبر خاطر المسلمين، وقدّم سندًا للظهور المقصومة المحدَودبة، وبثّ حماسًا في الهمم المنهارة، وأحيا فيهم الآمال الميتة. ومما لا شك فيه أنه بقدر ما كان الأمل كبيرًا كان دافعًا قويًّا إلى تحقيق أمور جسام، وإنه الأمل الذي يولّد روح التضحية والإيثار في النفوس. ولما فقد المسلمون الأمل لم يعودوا يتحلون بروح التضحية؛ أما الأحمديون فلديهم الأمل ولذلك يتحلون بروح التضحية، وليس القصد من التضحية هنا التضحية بالحياة والقضاء عليها بل هي تلك التضحية التي تؤدي إلى تحقيق جميع مقومات البقاء وتهدف إلى جمع الذرات بشكل تتولّد منها أسباب الرقي والازدهار.

الإنجاز الرابع عشر

إقامة الأمن والسلام

الإنجاز الرابع عشر الذي قام به المسيح الموعود عليه السلام هو أنه أقام دعائم الأمن والسلام، وذكر عدة تدابير يكفل العملُ بها إرساءَ الأمن والسلام في العالم.

١- إن أكبر علة لفساد العالم إساءة الناس إلى الزعماء والصلحاء من الديانات الأخرى وإغماض أعينهم عن ميزات تلك الديانات، في حين أن العقل السليم لا يقبل أن الله الذي هو رب العالمين قد حصر الهداية في شَعبٍ معين وترك الشعوبَ الأخرى بدونها. ولكن للأسف كانت هذه الفكرة -التي كانت سائدة آنذاك- قد أدت إلى نشوب فتن كثيرة. لقد قدَّم المسيح الموعود عليه السلام أمام العالم بكل تحدٍّ هذه الحقيقة: أنه ما من قوم إلا خلا فيه نبيّ، وبذلك استأصل علّة الفساد العظيم من جذورها. لا شك أن بعض الصلحاء القدامى أو بعض الأقوام أيضا عدُّوا بعض زعماء الأقوام الأخرى أيضا من الصلحاء والواصلين بالله تعالى والمقربين إليه، كما قال أحد الصلحاء من "دهلي" إن "كرشنا" كان نبيًّا، كذلك ذُكر أيوب عليه السلام في التوراة كنبي من الأنبياء مع أنه لم يكن من بني إسرائيل، ولكن المسيح الموعود عليه السلام قدم هذه القضية

بصورة مختلفة تمامًا. كانت الأمم المختلفة تقدم أفكارًا مختلفة عن الهداية قبل بعثة المسيح الموعود عليه السلام:

أ) فكان البعض يقول: إن النجاة مقصورة على قومهم، أما الآخرون فحصَبُ جهنم، وكان اليهود والزرادشتيون يتبنّون هذا الرأي.

ب) ويرى بعضهم أن باب الهداية كان مغلقًا ولم يفتح إلا بعد بعثة مؤسس ديانتهم. وهذا ما كان يروّج له المسيحيون، إذ يرون أن الهداية العامة لم تبدأ إلا بعد بعثة المسيح الناصري عليه السلام.

ت) وكان البعض يقول بأن الهداية تخص قومهم فحسب، ولكن إذا قام بعض الخواص من الأمم الأخرى بمجاهدات شاقة معينة فبإمكانهم أيضا أن ينالوا النجاة. وهذا ما كان يعتقد به أتباع فئة "سناتن دهرم" من الهندوس، إذ كانوا يرون أن ديانتهم هي الديانة الحقيقية والصادقة ولكن لو ولّد تابعٌ لديانة أخرى حبّ الله تعالى في قلبه وقام بمجاهدات شاقة رَحِمَهُ الله تعالى ووفّقه لاتباع طريق مؤدٍّ إلى الهدف المنشود ولو بعد قطع مسافة طويلة وتِيهٍ كثيرٍ، لأنه لا يسعه الاهتداء إلى طريق مستقيمٍ ومباشر إلى غايته ذاتيًّا.

ث) ومع أن القرآن الكريم قد حل أمر الهداية سلفًا إلا أن أفكار المسلمين لم تكن واضحة بل كانوا يرون أن هداية الناس جميعا أنيطت ببعض أنبياء بني إسرائيل في حين أنهم لم يُبعثوا إلا إلى قومهم. كما أنهم كانوا يؤمنون من ناحية ببعثة نبي في كل قوم وأمة ومن ناحية أخرى لا

يعدّون أهل الكتاب إلا بني إسرائيل، وكانوا يعدون أنبياء الأقوام الأخرى من الكاذبين.

أدت هذه الأفكار كلها إلى استحالة التصالح بين مختلف الشعوب والأمم، لأن الجميع قد تشبثوا بآرائهم فصاروا يحصرون النجاة في دينهم مدّعين أن دينهم هو الدين الحقيقي، فليس لغيرهم أن ينالوا النجاة. وكأن كل ملة أرادت أن تكون هي الوحيدة لربها وتتمتع بهذه المكانة دون غيرها. ولم تكن تتنازل لصالح الملل الأخرى إلا بالقدر الذي سمحت فيه لأتباع الملل المختلفة بالدخول إلى ملتها لنيل شيء من رحمة الله تعالى.

إضافة إلى ذلك كانت كل ملة تدعو إلى القضاء على جميع التقاليد والطقوس القديمة والمشاعر الدينية للملل الأخرى وتسييرها في طريق جديد. أي أن كل ملة كانت تريد من أتباع الملل الأخرى تمزيق أوراق تاريخهم القديم وأن يعدّوا صلحاءهم وزعماءهم كذَبةً ومخادعين والانضمام إلى هذه الملة وذلك لينموا بعد ذلك مثل الغِراس التي تُزرع في أرض جديدة. ولما كان من الصعوبة بمكان قبول هذا الأمر ولاسيما لمن كان آباؤه قد قاموا بمآثر عظيمة وكانوا علماء عصرهم، لذلك أدت هذه الأفكار إلى نشوب حروب فكرية طاحنة بين الملل والأقوام المختلفة ولم تبق صورة من التصالح فيما بينها.

وكان البعض يسلّمون بصلاح زعماء الديانات الأخرى دون أن يعدّوهم مصلحين أو معلِّمين لغيرهم بل كانوا يرون أنهم نُساك أو أبطال عصاميون؛ إذ اقتصر صلاحهم على أنفسهم ولم يُفضِ إلى نشر الهداية في العالم، كما لم ينتشر نورهم في الدنيا. لا شك أن الناس انتفعوا من معجزاتهم وكراماتهم ولكن هؤلاء الصلحاء لم يأتوا بتعليمٍ أو خطة إصلاحية، وهذا ما كان يراه المسلمون في "كرشنا" واليهود في "أيوب" عليهما السلام.

لقد غير المسيح الموعود عليه السلام وجهة النظر هذه نهائيًا، فلم يعدّ البعض صالحًا نظرًا إلى شخصيته وشعبيته، ولم يقل كما قال ولي الله "مظهر جان جانان": "لا يبدو "كرشنا" كاذبًا، ولا بد أن يكون وليًّا من أولياء الله تعالى"؛ كما لم يقل مثل قول أتباع "سناتن دهرم": كان محمد (صلى الله عليه وسلم) ولي الله إلا أن أصدق الأديان هو ديننا فقط؛ بل نظر عليه السلام إلى الموضوع نظرة أصولية وشاملة.

أ) فلقد نظر إلى الشمس وأشعتها، وإلى المياه وتأثيراتها، وتدبر في الهواء وتأثيره فوصل في النتيجة إلى أن الإله الذي جعل هذه الأشياء مشتركة بين البشر كلهم لا يمكن أن يخص قومًا منهم دون الآخر بالهداية، فلا بد أن يبعث أنبياء في كل قوم من الأقوام والملل، فلم يقبل عليه السلام "كرشنا" نبيًّا لأنه كان صالحًا وناسكًا فاز بقرب الله بجهده الخاص بشكل استثنائي في بلد غارق في الظلمات، بل لأنه عليه السلام تدبر في

صفات الله تعالى ووصل في النتيجة إلى أنه ما كان لله تعالى أن ينسى الملة الهندوسية ولا يوفر أسبابًا لهدايتها.

ب) ثم تدبر عليه السلام في فطرة الإنسان وقواها وقال إن هذه الجوهرة لا يمكن أن تضيع، بل لا بد أنها لقيت القبول في حضرة الله تعالى فهيأ أسبابًا لتنويرها.

وبذلك كانت وجهة نظره فريدة، ولم يكن رأيه حصيلة تأثُّرِه ببعض الشخصيات العظيمة، بل كان مرتكزًا إلى مراعاة عظمة الله وكفاءات الإنسان وطهارته.

وبعد كل هذا فقد فُتح الطريق المسدود إلى الصلح بين الناس، إذ لا يسع الهندوسي القول بأني لا أقبل الإسلام لأني بذلك سأضطر للإساءة إلى من أعدّهم من الصلحاء والأولياء، وذلك لأن الإسلام أيضا يعدهم صالحين ومن الأولياء، وسيتبع خطى هؤلاء الصلحاء في قبوله الإسلام. ولن يختلف حال الزرادشتيين والكونفوشيوسيين واليهود والمسيحيين إذ يسع الجميع أن يدخلوا الإسلام مع اعتقادهم بأمجاد آبائهم، ومن لم يرد الدخول في الإسلام فبإمكانه على الأقل الاشتراك في الصلح مع أهل الإسلام.

وهكذا فقد دفع عليه السلام الناس - بهذا الأصل - إلى التصالح مع ربهم أيضا لأن الناس من شعوب وملل مختلفة كانوا حائرين في تفكيرهم عن الله تعالى وكيف أنه تخلى عنهم الآن ولم يعد إلههم، وبديهي أنه ما كان

لمثل هذا التفكير أن يولّد في قلوبهم مشاعر المحبة تجاه الله تعالى، فقد أزال المسيح الموعود عليه السلام هذا الصدأ عن القلوب ولم يفتح طريقًا لعقد التصالح بين الناس فحسب بل لتصالح البشر مع رهم أيضا.

٢- **والأصل الثاني** الذي اتبعه المسيح الموعود عليه السلام لإرساء الأمن والسلام هو اقتراحه أن يقتصر أتباع كل ديانة على ذكر مزاياها دون أن يعترضوا على الديانات الأخرى؛ لأن تعييب أحدٍ الأديانَ الأخرى لا يثبت بحالٍ صدقَ دينه، بل يولّد في قلوب أتباع تلك الأديان البغض والحقد تجاهه.

٣- **الأصل الثالث** الذي قدّمه عليه السلام لإقامة الأمن والسلام هو ضرورة السعي من أجل رقي البلد من خلال التعاون والتصالح مع الحكومة وليس بواسطة نشر الفساد والتمرد عليها. ومما لا شك فيه أن الناس لا يستطيعون استيعاب حقيقة هذا الأصل بسبب تيار عدم التعاون السائد مع الحكومة، ولكن الحقيقة هي أن التعاون يؤدي إلى نيل الحقوق المشروعة بشكل أسهل بكثير من اتباع نهج عدم التعاون، ولكن لا يعني التعاون هنا التملق أو المداهنة؛ فهناك فرق شاسع بين التعاون والتملق، ويسع كل من يتحلى بشيء من العقل والتدبر أن يفهم هذا الفرق بسهولة. إن التملق والتطلع نحو المناصب لهما من أدواتٍ تدمر البلاد وتُديم العبودية، أما التعاون فيقود نحو الحرية.

الإنجاز الخامس عشر

إصلاح الأفكار المتعلقة بالمعاد

الإنجاز الخامس عشر الذي قام به المسيح الموعود عليه السلام هو أنه قدم عن الجزاء والعقاب - والأمور الأخرى المتعلقة بعالم المعاد - بحثًا دقيقًا شاملا ومقنعًا بحيث لا يمكن أن يخطر بالبال أفضل منه. لقد كانت قبل بعثته عليه السلام أفكار عجيبة غريبة منتشرة في الأديان كلها عن الجزاء والعقاب وعن عالم المعاد مما أدى إلى نفور الناس من هذه العقيدة وحسِبوا المعاد وهمًا وخيالا. لقد كان أتباع الديانات المختلفة يعتقدون بالمعتقدات التالية:

١- كان البعض يرى أن النجاة في وصول الإنسان إلى حالة انعدام الإحساس، وهذا كان رأي البوذيين.

٢- والبعض كان يقول إن النجاة هي الفناء والانمحاء في الله تعالى، وهذا ما يعتقد به أتباع طائفة "سناتن دهرم" من الهندوسية.

٣- وكان البعض يقول إن النجاة هي الانفصال التام للمادة عن الروح، وهذا ما كان يعتقد به أتباع طائفة "الجينية" من الهندوسية.

٤- وكان البعض يرى - ومنهم طائفة الآريا من الهندوس - أن النجاة مؤقتة ولا يمكن أن تكون دائمة.

٥- وكان رأي بعضهم – ومنهم الطبيعيون – أن الجزاء والعقاب ليسا إلا أمرا روحانيا.

٦- وكان رأي بعضهم الآخر – ومنهم اليهود والمسلمون – أن الجزاء والعقاب ليسا إلا أمرا ماديا.

٧- ويرى بعضهم – مثل المسيحيين - أن الجحيم مادية والجنة روحانية.

٨- ويرى البعض أن عقاب الجحيم أيضا دائم كنعماء الجنة.

ولكن جميع هذه الأمور كانت تثير اعتراضات وشبهات. فلو كان انعدام الإحساس بالرغبة هو النجاة الأخروية فلماذا خلق الله الإنسان؟ لا يتم الخلق إلا من أجل هدف يتم تحقيقه في المستقبل. فإذا كان الهدف من خلقه هو أن يتخلص من الرغبات والمشاعر فكان ذلك متحققًا قبل ولادته، فلم تكن ثمة حاجة لخلق الإنسان.

كذلك لو كانت النجاة كامنة في الفناء في الله تعالى فلا وجه للثواب والجائزة فيه، ولا يمكن أن يُعدّ الفناء لذات كاملة الإحساس وانمحاؤها إنعامًا أو ثوابًا سواء أكان ذلك الفناء في الله أم في غيره.

أما لو قيل إن النجاة هي تخلُّص الأرواح من المادة فلماذا أدخلت فيها أصلا؟ وما الغرض من هذه المرحلة الحياتية الجديدة؟

كذلك ليس صحيحًا أن الجزاء والعقاب أمر روحاني فحسب، وذلك لأن الإنسان ماديًّا يتميز بشوقه إلى جذب التأثيرات الخارجية، أما الفطرة الإنسانية فتقتضي أن يتمتع الإنسان من الخارج والداخل معًا.

أما القائلون بأن الجزاء والعقاب ماديان فحسب، أيضا مخطئون. لأنه لا يعقل أن تكتب الحياة الأبدية للإنسان ليأكل ويشرب ويقضي حياته دون هدف وغاية.

لقد رد المسيح الموعود عليه السلام على هذه الأفكار كلها وقدم الحقيقة التالية بقوله: ليس الغرض من خلق الإنسان أن ينال النجاة، بل الغرض منه أن يحرز الفلاح، لأن النجاة تعني التخلص الذي يدل على العدم، ولا يمكن أن يكون العدم هدفًا من خلق الإنسان. بل إن هدف الإنسان هو الفوز بالفلاح الذي هو ليس فَقْدَ الشيءٍ بل نيله. فلما كان الفلاح هو الحصول على شيء فلا بد أن تكون حواسنا أكثر رهافة في العالم الأخروي لنتمتع أكثر بهذا الفلاح، ولذلك ورد في القرآن الكريم عن الحياة الأخروية: ﴿وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ ثَمَانِيَةٌ﴾ (الحاقة: ١٨) أي لا تظهر في الحياة الدنيوية إلا أربع صفات إلهية رئيسة للإنسان ولكنها تتضاعف في الآخرة لتكون ثمانية، مما يعني أن التجليات الأخروية ستكون أكثر بكثير مما كانت في الدنيا.

ثم أثبت عليه السلام ديمومة النجاة أو الفلاح، كما أخبر أن جزاء العمل يتوقف على نية العامل ومقدرة المُجازي له، فلقد أثبت عليه السلام أبدية

الفلاح أو النجاة بمراعاة الأمرين المذكورين وبالنظر إلى فطرة الإنسان التي تفرّ من الفناء وتتطلع نحو الحياة الدائمة.

إضافة إلى ذلك أخبرنا عليه السلام أن الجزاء والعقاب ليسا روحانيَين فقط ولا مادييَن فقط، وليس أحدهما ماديا والآخر روحانيا، وذلك لأن مركز الأعمال السيئة أو الحسنة واحد، فلا بد أن يكون طريق الجزاء والعقاب أيضا واحد. ولما كان الإحساس لا يكتمل إلا باجتماع المشاعر الداخلية والخارجية لذلك لا بد أن يشمل الجزاء والعقاب الحواس الداخلية والخارجية كليهما. وبما أن العالم الأخروي مكان لتشحيذ حواس الإنسان لذلك يعطى له جسد جديد وفق احتياجاته، لن نكون هناك بجسدنا هذا بل سيعطى لنا جسد جديد سيُعدُّ روحانيًا بالمقارنة مع جسدنا الدنيوي، فإن عباداتنا ههنا تتراءى لنا هناك بصور وأشكال مختلفة، لا شك أنها ستتمثل بهيئة صُوَر ماديّة، ولكنها لن تكون مصنوعة من مادة هذا العالم، أي ستكون هناك أثمار ولبن وعسل وغرف وبيوت ولكن لن تكون من النوع الموجود في الدنيا، بل ستكون من مادةٍ لطيفة يمكن وصفها بالجسم الروحاني مقارنة مع جسمها الدنيوي.

وقد ذكر حضرته عليه السلام فرقًا بين الجزاء والعقاب وهو:

أولا: إن عقاب الجحيم ليس أبديًّا، وذلك لأن الفطرة الإنسانية عفيفة طاهرة فلا بد من توجيهها نحو الصلاح والحسنة.

ثانيًا: خُلق الإنسان لنيل قرب الله تعالى، فلو بقي في الجحيم فأنى له أن ينال قربه تعالى.

ثالثًا: إن رحمة الله واسعة، فلو ظل الإنسان في الجحيم للأبد فكيف سيدل ذلك على رحمة الله الواسعة، بل يثبت في هذه الحالة أن غضبه أيضا واسع مثل رحمته.

رابعا: لو كان الجحيم أبديًّا لضاع جزاء الأعمال الصالحة التي يقوم بها الإنسان في حياته الدنيوية في حين أن الله تعالى يقول إنه لا يضيع مثقال ذرة من خير وحسنة. وكل هذا يدل على أن العذاب والعقاب ليس أبديًّا، أما الفلاح فأبدي ودائم.

باختصار، فبكشفه عليه السلام عن حقيقة عذاب جهنم من الناحية العلمية يكون قد أماط اللثام عن حقيقة أكوان العالم، وذلك بتدبره - من ناحية - في ضعف الفطرة الإنسانية التي تكشف لنا أنه لما يولد الطفل يتأثر بتأثير الذين يتولون تربيته، كما يتأثر بالأكل والشرب وبالظروف المحيطة به، ونظرًا إلى انشغاله في أمور كثيرة لا يجد إلا قليلا من الوقت للعبادة، ومن ناحية ثانية بالنظر إلى سعي الإنسان من كل دين وملة للتقرب إلى الله تعالى، ومن ناحية ثالثة نظرًا إلى صعوبات كثيرة تحول دون وصول كلام الله تعالى إلى بني البشر، ولا يصل كلامه الحقيقي في وقت واحد إلا إلى قلة قليلة من الناس، ومن ناحية رابعة نظرًا إلى سعة رحمة الله تعالى، ومن ناحية خامسة إن الفطرة الصحيحة - نظرا إلى محدودية

القوى الإنسانية — تواجه سدودًا وموانع تجاه التعاليم التي تقدمها الديانات المختلفة عن الجزاء والعقاب، ولكن المسيح الموعود عليه السلام قدم تعليما ردّ على جميع الاعتراضات، والآن صرنا نرى أن الحياة الإنسانية حلقة من حلقات رقي الإنسان اللا محدود وهناك مجال كبير فيها للمراقي غير المحدودة. وإن جميع العراقيل التي تعترض سبيلها مؤقتة وإلا فهي تتقدم نحو الأمام عمومًا، حتى إن الجحيم أيضا عالم من عالم الرقي ومكان للتخلص من الشوائب والنقائص، وكأنه مُغتسل يأمر الله تعالى مَن علِقَتْ بهم الشوائب والنقائص بالاغتسال فيه قبل التوجه إليه تعالى.

والآن أخبركم في النهاية أنه لو قال أحد إن هذه الأمور كلها مذكورة في القرآن الكريم؛ فما الذي فعله المرزا المحترم إذًا؟ وكيف ثبت من خلال إبراز هذه الأمور أنها إنجازات قام بها عليه السلام؟ فالردّ عليه كما يلي: لو قال غير مسلم بأن الله تعالى هو من أخبر محمدًا (صلى الله عليه وسلم) بجميع ما قام به في حياته، فماذا أنجز هو إذًا؟ لكان ردّكم أنه لا شك أن النبي قد تلقى من الله تعالى كل ما أعطاه للعالم كله، ولكننا نتساءل لماذا لم يُعطَ ذلك غيره؟ لا بد أنه صلى الله عليه وسلم قد أحرز درجة مميزة لم يبلغها غيره ولأجل ذلك فتح الله تعالى عليه جميع هذه العلوم، فمن هذا المنطلق ينسب إليه كل ما قام به صلى الله عليه وسلم. وهذا هو ردّنا: مما لا شك فيه أن ما قام به المسيح الموعود عليه السلام مذكور في القرآن الكريم، ولكن الناس لم يروه و لم يفتحه الله تعالى على أحد سواه ولا سيما في زمن بدأ الناس يُعرضون فيه عن

القرآن واتخذوه مهجورًا. فمع أن هذه العلوم كانت موجودة في القرآن الكريم إلا أنها كانت خافية عن أنظار الناس، واختار الله تعالى المسيح الموعود عليه السلام لكشفها عليه، ومن هذا المنطلق تنسب له هذه الإنجازات كلها.

لقد ذكرتُ خمسة عشر إنجازًا من إنجازات المسيح الموعود عليه السلام ولا يعني أن مهمته كانت تقتصر على هذه الأعمال فحسب بل نطاقها واسع جدًّا، ولم أذكر إلا رؤوس أقلام وباختصار شديد، لأنه لو ذُكر بالتفصيل كلُّ ما قام به المسيح الموعود عليه السلام لتجاوز ذلك آلاف الصفحات، ولو جمعها أحد في كتاب لتحققت رغبة المسيح الموعود عليه السلام التي نوّه إليها في "البراهين الأحمدية" أنه سيضمِّن هذا الكتاب ثلاثمئة ميزة للإسلام. ولقد أنجز المسيح الموعود عليه السلام وعده هذا من خلال كتبه المختلفة إذ ضمّنها ميزات الإسلام وفضائله بما يزيد على الثلاثمئة بكثير، وإنني مستعدّ لإثبات ذلك.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.